

عصر الحبيب للنشر والتوزيع

حول العالم في ثمانين يوماً



للنشر و التوزيع

الكتاب: حول العالم في ثمانين يوماً

المؤلف: جول فيرن

المترجم: باسل حسين

الطبعة الأولى: يناير 2020

رقم الإيداع: 1414 / 2017

I . S . B . N : 978-99966-095-02-5

مدير النشر: علي حمدي

المدير العام: محمد شوقي

مدير التوزيع: عمر عباس

00201150636428

للمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميع الحقوق محفوظة ©

عصير الكتب للنشر والتوزيع

جول فيرن

حول العالم في ثمانين يوماً

رواية

ترجمة:

باسل حسين



للنشر و التوزيع

للمزيد من الكتب والروايات زوروا موقعنا

www.booksjuice.com

عيسى الكبير النشتر والتوزيع

المؤلف

ولد جول غابريل فيرن في مدينة نانتس في فرنسا في الثامن من شباط عام ١٨٢٨ وتوفي في الرابع والعشرين من آذار عام ١٩٠٥ . يعتبر جول فيرن مبتكر أدب الخيال العلمي . كان يدرس القانون عندما لفتت قصص المغامرات التي كان ينشرها في الصحف انتباه الجمهور ، ومن أشهر رواياته رحلة نحو مركز الأرض (١٨٦٤) ، ومن الأرض إلى القمر (١٨٦٥) ، وعشرون ألف فرسخ تحت سطح البحر (١٨٧٠) ، و حول العالم في ثمانين يوماً (١٨٧٣) . هل من الممكن أن يكون جول فيرن قد تنبأ بالمستقبل؟ فقد كتب عن السفر براً وجواً وتحت الماء قبل أن يكون السفر جواً ممكناً . وفي روايته عشرون ألف فرسخ تحت الماء تبحر سفينة خيالية «الناتيلوس» تحت القطب الشمالي وبعدها قامت الناتيلوس الحقيقية بأول رحلة لها تحت القطب الشمالي عام ١٩٥٨ . هل ترانا سنجد شيئاً من هذا القبيل في رواية حول العالم في ثمانين يوماً؟ ترجمت رواياته من الفرنسية إلى العديد من اللغات ويعتبر ثالث أكثر مؤلف تترجم رواياته حول العالم وفقاً لـ Index Translationum^(١)

(١) قاعدة بيانات اليونيسكو للكتب المترجمة

- ١ -

لقاء السيد فيلياس فوغ مع باسبارتو

لم يكن السيد فيلياس فوغ معروفاً على نطاق واسع في لندن رغم أنه كان يعيش سافيل رو في المنزل رقم ٧ وذلك عام ١٨٧٢ ، ورغم أنه كان من الأعضاء المشهورين في نادي الإصلاح إلا أن طبعه في تجنب الاحتكاك كثيراً بالناس وفي إخفاء أموره وشؤونه الخاصة جعل أي شخص يسمع بكونه من سكان لندن يشك في ذلك ، إضافة إلى أنه ما من ذكر له سواء في قوائم عملاء البنوك في مدينته أو في مكان عمل محدد ، ولا في مجال التجارة والأعمال ، إلا أنه كان رجلاً إنكليزياً راقياً وذو مظهر مهيب ؛ لم يكن السيد فوغ منغمساً في الجو الاجتماعي لمدينة لندن بل كان يبدو وكأنه بلا عمل أو مهنة محددة سوى أنه عضو في نادي الإصلاح الذي حصل على عضويته بفضل مدير البنك الذي يقوم بإدارة أعماله ، فقد تقدم باسمه للحصول على العضوية وتم قبول طلبه ببساطة .

ما من أحد يعلم كيف حصل السيد فوغ على ثروته خصوصاً أنه ما من سبيل لسبر أغوار هذا الشخص الغامض قليل الكلام ، ولم يكن ينفق الكثير من المال إلا أنه لم يكن

بخيلاً كذلك ، بل كان يتبرع من أمواله لصالح الأعمال الخيرية .

قلما وُجدَ شخص قليل الكلام مثل السيد فوغ ، كما أن حياته اليومية كانت بسيطة وواضحة إذ يؤدي كل شيء بانتظام غريب وفي توقيت مضبوط بدقة متناهية بشكل يوميٍّ مما جعله مثار دهشة لمن هم حوله .

لا أحد يعرف فيما إذا كان قد سافر من قبل ولكنه كان واسع الدراية في مجال الجغرافيا وما من أحد ليدانيه في معرفة خريطة العالم وتفصيلها إذ شملت معارفه شتى بقاع العالم ومدنه وبلدانه ، وكثيراً ما حدث أن قام السيد فوغ بتزويد المتحدثين بإيضاحاته الدقيقة وذلك بكلمات قليلة مختصرة ولكنها معبرة ، كلما دار الحديث حول الرحالة والرحلات حول العالم ودائماً ما أثبتت الأيام صحة تفسيراته ومعلوماته ، فبدا وكأنه قد جاب كافة أرجاء الأرض . . أو على الأقل في عقله وخياله! ومع ذلك كان من الواضح أن السيد فوغ لم يغادر لندن منذ مدة بعيدة كما لم يشاهده أحدٌ خارج لندن أو حتى داخلها سوى في الطريق الواصل بين منزله والنادي ، حيث يقرأ الصحف هناك ويلعب الورق ، وهذا جُلُّ ما يفعله! كان طبعه الهادئ وصمته شبه الدائم ملائماً للعبة الورق التي كان يتصدّق بالمال الذي يكسبه منها ، إذ لم يكن المال هو ما يبغيه من لعب الورق وإنما متعة اللعبة فقط بوصفها أشبه بصراعٍ أو

قضية مستعصية يستمتع في التفكير فيها وحلها .
كان يعيش لوحده في منزله في سافيل رو دون زوجة أو أولاد أو حتى أقارب أو أصدقاء ، فلم يكن يزوره أحد ، مكتفياً بخادمه الذي يعتني بشؤون المنزل ، ويحفظ عادات السيد فوغ الثابتة عن ظهر قلب ، فهو يتناول فطوره وغدائه في النادي بشكل يومي في نفس الوقت وعلى ذات الطاولة ، ثم يعود إلى منزله عند منتصف الليل لينام مباشرة . أما المنزل فقد كان متواضعاً ومريحاً تماماً ، يستمتع الخادم بالعناية به باعتبار أن السيد فوغ يقضي معظم وقته في النادي ، ومع ذلك لم يكن السيد فوغ ليتسامح مع أي تقصير من جانب خادمه جون فوستر .

هذا الأخير ارتكب ذات يوم خطأ لا يُغتفر ، وهو العارف بطبائع سيده وتقديسه للدقة والانضباط ، إذ أحضر ماء الحلاقة له ناقصاً درجتين عن درجة الحرارة التي حددها له وهي ٨٦ درجة فهرنهايت! فكان ذلك ذنباً لا يُغتفر كلف جون فوستر عمله ، إذ أخبره السيد فوغ أنه استغنى عنه .

جاء اليوم الذي كان ينتظر فيه السيد فوغ خادمه الجديد ، كان جالساً على كرسيه المريح واضعاً يديه على ركبتيه في حالة تأهب وعيناه مثبتتان على ساعته الغريبة التي تعطي الوقت بالثواني والدقائق والساعات والأيام والأشهر والسنوات ، وما أن أشارت إلى الساعة الحادية عشرة والنصف حتى همَّ

بالخروج إلى النادي كما العادة ، إلا أنه سمع دقات على الباب
لينخره جون فوستر بأن الخادم الجديد قد وصل . .
كان شاباً في الثلاثين من عمره اقترب من السيد فوغ ثم
انحنى تحيةً له ، فسأله : « أنت فرنسيّ أليس كذلك؟ هل
اسمك جون؟ »

أجاب الشاب : بل جان! اسمي جان باسبارتو^(٢) وكما
يُقال لكل امرئ من اسمه نصيب فاسمي يناسبني تماماً حيث
أني اعتدتُ القيام بكافة أنواع الأعمال وأعتقد أنني إنسان
طيب وشريف . لقد عملت في مجالات شتى . حسناً لقد
غنيت في الشوارع وكنت لاعب جمباز وراقصاً على الحبال
وقمت بتدريس هذه الأشياء ، وفي باريس كنت ضابطاً في
فرقة المطافئ وشاركت في إخماد العديد من الحرائق الكبرى ،
لكنني غادرت فرنسا منذ خمس سنوات راجعاً في التعرف على
الحياة في البيوت الإنكليزية طامعاً بتذوق حلاوة تلك الحياة
الهادئة ولذا جئت إلى إنكلترا لأعمل خادماً في البيوت ،
وعندما عجزت عن العثور على عمل آخر ، جئت إليك إذ
سمعت أنك تعيش حياة هادئة تماماً بل أنك الأكثر دقةً ونظاماً
في هذه البلاد ، أعتقد أن هذا يناسبني كثيراً فأنا أريد أن

(٢) باسبارتو : كلمة فرنسية تعني ينفذ إلى أي مكان أو يلازم أي شيء وتستخدم

عادة كاسم للمفتاح الذي يفتح أي قفل . (المترجم)

أعيش حياة هادئة في المستقبل أنسى فيها حتى أن اسمي
باسبارتو .

قال السيد فوغ : باسبارتو ، أعتقد أن هذا يناسبني .
سمعت عنك أخباراً طيبة وتمت تزكيتك على أنك رجل طيب
وأهل للثقة ، حسناً أنت تعرف شروطي أليس كذلك؟
أجاب باسبارتو : أجل يا سيدي .

سأله السيد فوغ : كم الساعة الآن؟
أجاب باسبارتو وهو يسحب ساعته الفضية الضخمة من
جيبه إنها الحادية عشرة واثنان وعشرون دقيقة .
فقال السيد فوغ : إن ساعتك متأخرة .

رد باسبارتو : أستمحك عذراً يا سيدي لكن هذا
مستحيل !

قال السيد فوغ : إن ساعتك متأخرة أربع دقائق وها أنت
الآن تعرف ذلك ، والآن بدءاً من هذه اللحظة ، بدءاً من
الحادية عشرة وتسع وعشرون دقيقة من صباح يوم الأربعاء
الواقع في الثاني من أكتوبر عام ١٨٧٢ أصبحت يا باسبارتو
تعمل عندي .

نهض بعد ذلك السيد فوغ وتناول قبعته بيسراه ووضعها
فوق رأسه وخرج من المنزل دون أن يزيد كلمة على ما قاله وبعد
ذلك سمع باسبارتو الباب يُغلق مجدداً ؛ لقد كان هذا السيد
فوستر . كان باسبارتو يتفحص السيد فوغ خلال هذه المقابلة

القصيرة جداً فبدلاً له رجلاً وسيماً في الأربعين من عمره طويل القامة ذو شعر بنيّ وجبين خالٍ من التجاعيد وكان وجهه شاحباً وأسنانه رائعة ، شكله يوحي بأنه رجل أفعال لا رجل أقوال . وقد كان باسبارتو رجلاً صادقاً ذا وجه حسن وشعر أشقر وعينين زرقاوين وشفيتين بارزتين كما كان قوي البنية ويبدو أنه اكتسب قوّته البدنية نتيجة ممارسته بعض التمارين والتدريب عندما كان أصغر سناً .

تذكر باسبارتو تماثيل الشمع التي شاهدها في متحف مدام تيسو وقد شعر أن تلك التماثيل تملؤها الحيوية أكثر من سيده الجديد .

في تمام الحادية عشر والنصف وجد باسبارتو نفسه وحيداً في المنزل فأخذ يتفحصه من القبو إلى العليّة . بدا له المنزل جميلاً ومرتباً كأنه قوقعة حلزون ، مُضاء وبه مدفئة تستخدم الغاز وقوداً . دخل غرفة في الطابق الثاني فعرف أنها غرفته وقد أعجب بها كثيراً فقد كانت مزودة بأجراس كهربائية وأنايب بث رسائل صوتية من خلالها وبهذا تربط الطابق العلوي بالطابق السفلي وشاهد على رف الموقد ساعة كتلك التي في غرفة نوم السيد فوغ تدق على نفس التواتر مثلها في نفس اللحظة . ووجد فوق الساعة ورقة مكتوب عليها برنامج مهماته خلال اليوم من الثامنة صباحاً عند استيقاظ السيد فوغ وحتى عودته في منتصف الليل تماماً . وبعد أن تفحص المنزل من بابه

إلى محرابه شعر بأسبارتو بسعادة غامرة وابتسم قائلاً : هذا ما أردته بالضبط . لا بد من أننا سنتفق أنا والسيد فوغ . يا له من رجل منظم! إنه آلة حقيقية! حسناً لا أمانع من أن أكون في خدمة آلة كهذه .

عيسى الكليب للنشر والتوزيع

-٢-

الرهان

جلس السيد فوغ في مكانه المعتاد على طاولته في غرفة طعام نادي الإصلاح الذي وصله كعاداته في الحادية عشرة والنصف بعد أن قطع المسافة المعتادة نفسها كذلك -٥٧٥ خطوة- وفي الساعة الثانية عشرة وسبع وأربعين دقيقة أنهى فطوره وتوجه إلى قاعة المطالعة لقراءة صحيفة التايمز ، واستمر ذلك حتى الرابعة إلا ربعاً حيث انتقل بعدها ليطالع الصحيفة الثانية «الستاندرز» وذلك حتى وقت العشاء .

تناول غداءه كما إفطاره في غرفة الطعام ثم عاد إلى غرفة المطالعة في تمام الخامسة وخمسين دقيقة مساءً وأخذ يتصفح بعض المجلات ، وبعدها بنصف ساعة انضم إليه بعض من أصدقائه المقربين الذين يشاركونهم لعب الورق وهم المهندس أندرو ستيوارت ، الصيرفيان جون سوليفان وسامويل فالنتين ، ومالك الأراضي توماس فلانغان ، وأحد مدراء بنك إنكلترا غوثيير رالف ، وهم جميعهم من الشخصيات المرموقة في المجتمع .

أخذوا يلعبون الورق ويتحدثون عن سرقة البنك التي

وقعت منذ ثلاثة أيام حيث تمكن اللص من سرقة ٥٥٠٠٠ جنيهًا . قال ستيوارت : أعتقد أن البنك سيخسر المال
قاطعته فلانغان : على العكس تمامًا ، سنتمكن من إلقاء القبض عليه . لقد تم إرسال محققين غاية في المهارة إلى جميع الموانئ الرئيسية ولسوف يجد اللص صعوبة بالغة في الهرب من البلاد .

سأله ستيوارت : حسنًا وهل تمكنتم من الحصول على مواصفات اللص؟

أجاب فلانغان : هو ليس بلصٌ أبدًا! لا يمكن للصوص عادي أن يسرق مبلغًا كهذا .

هنا تكلم السيد فوغ : وفقًا لصحيفة ديلي تلغراف فالسارق رجل مثقف ذو مكانة مهمة .

وقعت السرقة منذ ثلاثة أيام وهي الآن حديث البلاد .
تشعب حديث الرجال الأربعة وأخذوا يناقشون كيفية وقوع السرقة وأوصاف المشتبه به الذي قيل بأنه يبدو رجلًا أنيقًا من النبلاء كان يدخل ويخرج إلى حجرة الدفع التي وقعت فيها السرقة والتي كانت تحتوي على كنز من الذهب والفضة والنقود وتفتقر إلى الحراسة ، لذا فإن أي شخص حاذق يراقب الغرفة يحذر سيكون في مقدوره إتمام عملية السرقة . ذكروا أنه قد أرسلت مواصفات هذا المشتبه أنف الذكر إلى جميع المحققين ثم أخذوا يتحدثون عن الجائزة المخصصة للقبض عليه وتبلغ ألفي

جنيه ونسبة خمسة بالمئة من المبلغ المسترجع ؛ إنها مكافئة سخية كافية على تحفيزهم لإيجاده .
فقال أحدهم : إنَّ العالمَ كبيرٌ كفاية ليتمكن اللص من الهرب .

ردّ آخر : لا ليس كبيراً كفاية فقد أصبحنا نملك أشياء مثل قناة السويس والسفن السريعة والقطارات وهذه ستسهّل عملية إيجاده ، ثم انتقلوا في حديثهم إلى السفر حول العالم وقد أجمعوا أن الأمر سيحتاج إلى ثلاثة أشهر على أقل تقدير ، فقطاعهم السيد فوغ قائلاً : ثمانون يوماً تكفي وأخذ ورقة وكتب عليها :

من لندن إلى السويس عن طريق كاليه وبرينديزي ، أي سكة حديد وباخرة (سبعة أيام)

من السويس إلى مومباي بالباخرة (١٣ يوماً)

من مومباي إلى كالكوتا عبر سكة الحديد (٣ أيام)

من كالكوتا إلى هونغ كونغ بالباخرة (١٣ يوماً)

من هونغ كونغ إلى يوكوهاما بالباخرة (ستة أيام)

من يوكوهاما إلى سان فرانسيسكو بالباخرة (١٣ يوماً)

من سان فرانسيسكو إلى نيويورك عبر سكة الحديد (٧

أيام)

من نيويورك إلى لندن بالباخرة وسكة الحديد (٩ أيام)

فيكون المجموع ثمانون يوماً .

قال السيد ستيوارت : معك حق من الممكن القيام بهذه الرحلة نظرياً لكن عملياً

قاطعه السيد فوغ : كذلك الأمر عملياً .

فقال السيد ستيوارت : هذا مستحيل .

وعرض رهاناً بأربعة آلاف جنيه بأنه على صواب وأن هذه الرحلة مستحيلة .

قال السيد فوغ : على العكس هي ممكنة وسهلة .

- حسناً أريد أن أراك تقوم بذلك .

- الرحلة حول العالم بثمانين يوماً! لا يوجد شيء أحبُّ إلى قلبي من ذلك .

- إذاً أنت تقبل رهاني! ومتى ستقوم بها؟

أجابه السيد فوغ : في هذه اللحظة ، لكنني أحذركم بأنكم ستدفعون تكاليف رحلتي .

فتحمس ستيوارت للتحدي وأجابه : حسناً يا سيد فوغ وهو كذلك سأراهن بمبلغ أربعة آلاف جنيه بأنك لن تنجح .

قال السيد فوغ : أنا مستعد للانطلاق في رحلة حول العالم في ثمانين يوماً بدءاً من هذا المساء وإنني لست أقبل بهذا الرهان وحسب بل أراهن بعشرين ألف جنيه من ثروتي بأني أستطيع القيام بهذه الرحلة خلال ثمانين يوماً .

قبل الأصدقاء الخمسة الرهان ووافقوا على أن يتكفلوا بجميع تكاليف هذه الرحلة .

ولكن السيد سوليفان صرخ منبهاً السيد فوغ : عشرون ألفاً! ففكر جيداً ستخسر عشرين ألف جنيهه إذا ما حصل أي تأخير طارئ ، إضافة لأن هذه أقل مدة قد تستطيع فيها القيام برحلتك . أجابه السيد فوغ : ستكون الأمور على ما يرام .

قال سوليفان : لكن كي تنجح في مسعاك عليك أن تقفز من الباخرة إلى القطار ومن القطار إلى الباخرة!

قال السيد فوغ : هذا ما سأفعله بالضبط . هذا المساء سينطلق قطار باتجاه دوفر في الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة .

قال ستيوارت وهو مشدوه : هذا المساء!

أجابه السيد فوغ وكأن الأمر غاية في البساطة : نعم هذا المساء ، اليوم الأربعاء الواقع في الثاني من أكتوبر فيتحتم علي العودة إلى حجرة المطالعة في نادي الإصلاح في يوم السبت الحادي والعشرين من كانون الأول في تمام الثامنة وخمس وأربعين دقيقة وإذا لم أحضر فسيؤول مبلغ العشرين ألف جنيهه الموجود في حسابي لكم أيها السادة .

قام الأصدقاء بكتابة وثيقة الرهان ثم وقّعوا عليها جميعاً . كانوا لا يزالون يلعبون الورق عندما دقت الساعة السابعة ونصحه أصدقاؤه بالإسراع والاستعداد لرحلته في الحال غير أنه أخبرهم أنه كعادته مستعد دائماً . ربح عشرين جنيهه وودع أصدقاءه في تمام الساعة وخمس وعشرين دقيقة ثم غادر النادي ووصل إلى منزله بعد خمس وعشرين دقيقة .

-٣-

فيلياس فوغ يدهش باسبارتو

في غمرة الراحة والتفأول اللذان كان يشعر بهما باسبارتو بعد أن اطلع على تعليمات ومواعيد سيده وعاداته واحساسه بأنه حصل أخيراً على الحياة البسيطة الرتيبة التي يريدّها ، وصل السيد فوغ منادياً عليه حيث لم يُجبه إلا بعد المناذاة الثالثة فظهر باسبارتو على باب غرفة سيده .

قال له السيّد فوغ : لقد ناديتك ثلاث مرّات!

أجابه باسبارتو : لكن لم يحن منتصف الليل بعد يا سيّدي!

فقال له السيّد فوغ بنبرة هادئة : أعلم ، سنذهب خلال عشر دقائق إلى دوفر وكاليه وسننطلق في رحلة نجوب فيها العالم خلال ثمانين يوماً وبالتالي ليس لدينا وقت لنضيّعه .

كان وقع هذه الكلمات إضافةً إلى نبرة سيّده على الشاب الفرنسي الطيب ثقيلاً إذ شعر بأنه سيفقد توازنه . اتّسعت حدقتاه ورفع حاجبيه وفتح فمه وقال باندهاش : حول العالم!!!

أجابه السيد فوغ : نعم .

قال باسبارتو : ثمانون يوماً .

رد السيد فوغ : نعم .

قال باسبارتو : خلال عشر دقائق .

أجاب السيد فوغ : أجل عشر دقائق .

قال باسبارتو : لكن ماذا عن لوازم السفر وحاجاته ، ماذا

عن الحقائب التي سنحزمها؟ ماذا عن أمتعتنا؟

قال السيد فوغ : لن نأخذ معنا أي شيء . فقط حقائب

السفر القماشية وزوجين من القمصان وثلاثة أزواج من

الجوارب . أحضر حقيبتي كذلك وساعة السفر الخاصة بي ،

وخذاءً ضخماً حيث أننا سنمشي بعض الوقت خلال رحلتنا

وسنشترى كل شيء آخر في الطريق .

انطلق باسبارتو لإعداد ما طلبه سيده والحيرة تأكل رأسه

والخيبة كذلك «هل هذه هي الراحة التي تفاعلتُ بأني حصلتُ

عليها أخيراً! رحلة حول العالم!!»

أقفل أبواب المنزل وأحضر حقيبة السفر ثم نزل إلى سيده

الذي كان حاضراً للانطلاق ويده دليل سفر خاص بالقطارات

وأخر بالسفن ، فوضعها مع رزمة من المال في الحقيبة التي كاد

يوقعها أرضاً لفرط دهشته عندما سمع من سيده أنها تحتوي

على عشرين ألف جنيه! ..

قاما بإغلاق الباب الأمامي وانطلقا إلى الشارع ليستأجرا

عربةً تقلّهما إلى محطة تشيرينغ كروس ؛ وفي المحطة لاحظ

السيد فوغ وجود متسولةٍ في حالةٍ يرثى لها بثيابٍ باليةٍ وعينين

يلوئهما الحزن والبؤس تحمل ابنها على يدها ، فأعطاهما العشرين جنيهاً التي كسبها في لعبة الورق في النادي ، الأمر الذي لامس قلب باسبارتو .

بعد ذلك قام بشراء تذكرتين من الدرجة الأولى إلى باريس ، وأثناء اجتيازه سكة القطار لمح أصدقاءه من نادي الإصلاح قادمين ليُلقوا عليه التحية قبل سفره ، فتحدثوا قليلاً وأخبرهم بأنه سيطلب من المختصين أن يوقعوا على جواز سفره في كل مكان مهم يمر فيه خلال رحلته ليكون إثباتاً على إتمامه الرحلة بالشروط المتفق عليه ، إلا أنهم ولشقتهم الكبيرة به أخبروه أن ما من داع لهذا الإجراء . . فتمّ الوداع وغادرهم السيد فوغ قائلاً : ألقاكم بعد ثمانين يوماً!

انطلق القطار في الثامنة وخمس وأربعين دقيقة معلناً بداية هذه الرحلة العجيبة حول العالم ، وما كادت عجلاته تدور حتى صرخ باسبارتو : يا إلهي!

فسأله السيد فوغ : ماذا هناك؟

- لقد نسيْتُ أن أطفئ الغاز في غرفتي .

فأجابه السيد فوغ بشيء من الدعابة : حسناً لا بأس ، بعد عودتنا سأقتصُّ ثمن الغاز من راتبك .

انتشر خبر رحلة السيد فوغ في كافة أنحاء المدينة حتى أن بعض الناس جعلوا منها مادةً للرهان على نتيجتها ، كما تحدثت عنها كُبريات الصحف كالتايمز والستاندارد والديلي نيوز واصفةً

إياها بأنها ضربٌ من الجنون ، كما وجّهت اللوم لأصدقائه من أعضاء نادي الإصلاح ، إلا أنّ صحيفة الديلي نيوز وحدها وقفت في صفّ الرحلة . .

كان كل هذا يحدث في لندن بعض مضي أربعة أيام على بداية الرحلة حيث كان فوغ وباسبارتو قد أصبحا خارج أوروبا بعد أن وصلا بالقطار إلى دوفر ومنها إلى باريس عبر البحر ، ومن هناك سافرا بالقطار إلى إيطاليا ثم بواسطة قطار آخر إلى برينديزي لتصبح الرحلة عبر البحر على متن باخرة اسمها مونغوليا .

نُشرت بعد ذلك مقالةٌ في السابع من أكتوبر تناولت جميع ظروف الرحلة ومن جميع جهات النظر وطرحت جميع العراقيل والعقبات المتوقع أن يواجهها المسافرين سواء جاءت بفعل الإنسان أو الطبيعة ، فذكرت مثلاً أعطال السفن المفاجئة وخروج القطار عن السكة والطقس السيء وأكدت أن أي تأخير كان وإن لم يتجاوز الساعة عن الباخرة سيعني نهاية الأمر . كان اللورد المُقعد ألبمارل الشخص الوحيد الذي يؤمن بأن السيد فوغ سيتمكن من إنجاز رحلته بنجاح وراهن على ذلك بخمسة آلاف جنيه قائلاً : إذا كان الأمر ممكن الحدوث فلا بد وأن يكون أول من ينجزه إنكليزياً .

-٤-

المفتش فيكس وباسبارتو

في السويس ، بعض مضيّ أسبوع حيث كان السيد فوغ وباسبارتو وبقية المسافرين ينتظرون الباخرة مونغوليا ، كان وسط الجموع رجالان يتباحثان بشأن ما! الأول كان القنصل البريطاني في السويس أما الرجل الثاني فقد كان نحيلاً قصيراً تشي عيناه بذكاء متّقد ، كما أنه كثير الحركة ، كان هذا هو المفتش فيكس الذي تم إرساله من إنكلترا للبحث عن اللص الذي سرق البنك ، والذي كان بشكل أو بآخر سبب رحلة السيد فوغ . كانت مهمة المفتش فيكس تقضي بمراقبة القادمين إلى السويس وملاحقة أي شخص يشكّ فيه أو تنطبق عليه مواصفات اللص التي تم إعلانها ، وقد كان للمفتش فيكس نظريته بخصوص الموضوع إذ كان يعتقد أن السارق سيتوجه إلى أمريكا ولكن عبر طريق غير متوقع لتضليل العدالة ، فهو حسب رأيه سيتجه شرقاً إلى الهند ومن ثم حتى يصل اليابان وبعدها إلى أمريكا .

ألحّ المفتش فيكس على القنصل : لقد قلت إنّ الباخرة لا تتأخر عن موعدها .

- بالفعل لا تتأخر ، وقد نالت جائزة لسرعتها الكبيرة ووصولها دائماً قبل الموعد ، إن مونغوليا من أسرع البواخر وهي قادمة من برينديزي ، ولكنني لا أفهم كيف ستتمكن أنت من القبض على السارق بناءً على ما وصلنا عنه!

فأجاب المفتش : بالنسبة لي فأنا أشعر بوجود شخص كهذا أكثر مما أجريه من تحليل منطقي ، فهؤلاء اللصوص تشعر أن لديهم رائحة خاصة بهم يمكنك أن تتحسسها! إنه شيء شبيه بالحاسة السادسة ، وأنا واثق أنه إذا كان اللص أحد ركاب الباخرة فلن يفلت مني .

كانت السفينة ستقف في السويس قليلاً لتتزود بالفحم قبل أن تتابع طريقها إلى مومباي ، وقد خضع المسافرون عند نزولهم إلى مراقبة شديدة ، وهذا كان حال باسبارتو الذي أرسله سيده للحصول على ختم القنصل ، فتوجه إلى فيكس الذي كان واقفاً على الرصيف وسأله وهو يحمل جواز السفر عن مكتب القنصل . نظر السيد فيكس إلى جواز السفر وأخذ يتفحصه بدقة وعندما قرأ وصف السيد فوغ تأكد أن مواصفات هذا الرجل مطابقة لمواصفات سارق البنك التي وصلته من إنكلترا قبل يومين . فسأله : لمن جواز السفر هذا؟

أجاب باسبارتو : إنه لسيدي .

- «وأين هو سيدك؟»

- «إنه على ظهر السفينة .»

قال السيد فيكس : لكن يجب أن يذهب بنفسه إلى مكتب القنصل إذا أراد أن يوقع ويختم له على جواز سفره .
فسأله باسبارتو : وأين يقع مكتب القنصل ؟
أجابه مفتش الشرطة وهو يشير بيده : هناك .

انحنى باسبارتو وشكره ، ثم ذهب ليخبر سيده وعاد السيد فيكس بسرعة إلى مكتب القنصل وأخبره بما يعتقد وقال : أنا واثق من أن الرجل الذي أبحث عنه موجود على متن الباخرة مونغوليا .

أجاب القنصل : حسناً يا فيكس ، أودّ رؤية هذا اللص بعينيّ هاتين وإن كان ما تقوله صحيحاً فليست أتوقع أن يأتي إلى مكّتي ، فاللصوص لا يرغبون بالكشف عن هويتهم ، إضافة إلى أن المسافرين ليسوا مضطرين لإظهار جوازاتهم إن لم يكونوا يريدون ذلك .

فقال فيكس : لكن لا يجب أن تسمح له بالذهاب والمغادرة إلى الهند قبل أن أستلم التصريح من لندن بإلقاء القبض عليه .

قال القنصل : أنا لا أستطيع ذلك ، لا أستطيع منعه من السفر إلى الهند إذا كان جوازه سليماً . وفي هذه اللحظة دخل رجلان إلى الغرفة . السيد فوغ وباسبارتو ، فأبرز السيد فوغ جواز سفره وطلب من القنصل وضع توقيعه عليه ، فسأله : هل أنت السيد فيلياس فوغ ؟

- نعم .
- وهل هذا خادمك؟
- أجل إنه رجل فرنسي اسمه باسبارتو
- هل أنت من لندن؟
- أجل
- وإلى أين وجهتك؟
- إلى مومباي
- حسناً يا سيدي أنت تعرف أنه ليس من الضروري أن
تحضر جواز سفرك من أجل أن تحصل على ختمي وتوقيعي .
- أعرف ، لكنني أود أن أثبت من خلال توقيعك وختمك
أنني مررت عبر السويس .
- حسناً هذا جيد جداً .
- بعد أن انصرف السيد فوغ وباسبارتو قال القنصل للمفتش
فيكس : يبدو لي أنه رجل صادق وليس لصاً .
- قال المفتش : وماذا عن مواصفاته؟ يبدو أن خادمه أقل
غموضاً منه ، كما أنه فرنسي وأنت تعرف أنهم يتكلمون كثيراً .
- اعذرني سأذهب لبعض الوقت .
- خرج المفتش فيكس للبحث عن باسبارتو ، وفي الوقت
ذاته أعطى السيد فوغ بعض الأوامر لباسبارتو وبعدها عاد إلى
السفينة وأخرج المفكرة وكتب عليها بالتفصيل عن كل مكان
مرَّ به باليوم والساعة منذ مغادرته لندن وحتى وصوله السويس .

لقد مضى على مغادرته لندن حتى الآن ١٥٨ ساعة أي ستة أيام ونصف .

بعد بضع دقائق وجد فيكس باسبارتو وحيداً فسأله : هل حصلت على ما تريد وقمت بتوقيع جواز السفر؟

- أهذا أنت يا سيدي؟ نعم كل شيء على ما يرام وها نحن في السويس ، في مصر ، أه كم أتمنى لو أستطيع البقاء ومشاهدة الأماكن الجميلة والهامة إلا أننا سنسافر بسرعة وليس لدينا وقت للسياحة .

سأله فيكس : أنت على عجلة من أمرك؟

- لا لست أنا بل سيدي ، لقد غادرنا لندن فجأة حتى أننا لم نتمكن من حزم أمتعتنا الخاصة بالرحلة .

- لا تقلق يمكنني أن آخذك إلى مكان تستطيع أن تبتاع من عنده كل ما تحتاج .

- شكراً لك إنك حقاً لإنسان لطيف ونبيل .

ثم راحا يمشیان سوية حيث أخبره باسبارتو بأن أهم شيء هو ألا يتأخر عن الباخرة .

قال فيكس : لكن لديك متسع من الوقت إنها الثانية عشرة فحسب .

أخرج باسبارتو ساعته الكبيرة من جيبه وقال : لا إنها العاشرة إلا ثماني دقائق فحسب .

قال فيكس : إن ساعتك متأخرة .

قال باسبارتو منفِعلاً : ماذا؟ ساعتِي أنا؟ ساعتِي التي ورثتها أباً عن جد؟ إنها لا تخطئ أبداً مستحيل .

قال فيكس : حسناً فهمت الأمر . ساعتك لا تزال على توقيت لندن والذي هو متأخر عن توقيت السويس بساعتين عليك بتعديلها وإلا فلن تتوافق مع الشمس .

رد باسبارتو : لا وألف لا . لن أقوم بتعديلها وإذا لم تتوافق مع الشمس فذلك أمر سيء بالنسبة للشمس ليس لي ، قد تكون الشمس في السماء مخطئة لكن ساعتِي بالتأكيد لا تخطئ .

بعد عدة دقائق من الصمت قال فيكس : إذاً لقد غادرتما لندن على عجل؟

أجاب باسبارتو : أجل ففي مساء الأربعاء الماضي جاء سيدي من النادي مبكراً في تمام الثامنة وبعد ثلاثة أرباع الساعة بدأت رحلتنا .

سأل فيكس : ولكن إلى أين سيذهب سيديك؟

أجاب باسبارتو : سيذهب حول العالم .

صرخ فيكس قائلاً : حول العالم!!!

تابع باسبارتو : خلال ثمانين يوماً . رهان ، يقول أنه رهان لكن بيني وبينك أنا لا أصدق هذا إنه غير منطقي ، لا بد من وجود أمر آخر .

قال فيكس : لا بد من أنه رجل غريب .

قال باسبارتو : هو كذلك .

سأل فيكس : هل هو ثري؟

أجاب باسبارتو : من دون أدنى شك ، فهو يحمل معه مبلغاً كبيراً من المال وكله أوراق نقدية جديدة وينفق الكثير من المال بسخاء .

سأل فيكس : وهل تعرف سيدك منذ مدة طويلة؟

أجاب باسبارتو : لا لقد التقيته في اليوم الذي بدأت فيه رحلتنا وهو اليوم نفسه الذي أصبحت فيه خادمه .

بعد هذا الحديث ، أصبح فيكس متأكداً من أن السيد فوغ هو سارق البنك ، فمغادرة لندن بسرعة بعد السرقة بوقت قصير إضافةً إلى ما قاله باسبارتو عن أن بحوزة سيده مبلغ كبير من المال ، إضافة إلى استعجاله الوصول إلى أقاصي الأرض مبرراً ذلك برهان بينه وبين أصدقائه! لم يكن المفتش فيكس بحاجة لأكثر من هذه الدلائل كي يحسم أمره في أن السيد فوغ هو السارق المنشود . وبدأ يحاول دفع باسبارتو المسكين للحديث أكثر ، بعد أن استنتج أنه لا يعرف شيئاً عن سيده الثري الذي يعيش وحده في لندن ولا يحب الاختلاط بالناس كما لا يعرف أحد كيف حصل على ثروته ، وها هو الآن في طريقه إلى مومباي .

سأله باسبارتو : هل مومباي بعيدة؟

- نعم مسافة عشرة أيام أخرى في البحر .

- وأين تقع مومباي؟
- في الهند .
- في آسيا؟
- بالطبع .
- لكن أتعرف ما الذي يشغل بالي أكثر؟ إنه موقدي؟
- موقدك؟
- نعم موقد الغاز في غرفتي لقد نسيت أن أطفئه وهو الآن يعمل على نفقتي .
- لم يكن تفكير فيكس مهتماً أبداً بما يقوله باسبارتو ومشكلته مع الغاز ، بل كان فكره يجول في مكان مختلف! وافترق الاثنان بعد أن وصلا إلى المتجر حيث أخبره فيكس أن بإمكانه شراء ما يلزمه ثم يعود بسرعة إلى الباخرة ، أما فيكس فتوجه مباشرة إلى القنصل .

- ٥ -

السيد فيكس ينفذ صبره

قال فيكس للقنصل : إنني لست واثقاً تماماً من أنني قد أمسكتُ به ، حيث يتظاهر أنه يحاول كسب رهانٍ غريبٍ يتطلَّب منه السفر حول العالم خلال ثمانين يوماً .

- حسناً يبدو أنه رجل حاذق جداً ، فبصفه حول العالم سيتمكن من العودة إلى لندن بعد أن يكون قد هرب من الشرطة حول العالم .

- سوف نرى .

- لكن هل أنت بالفعل متأكد من أنك لم تخطئ؟

- متأكد

- إذاً لماذا أصرَّ أن أوقع على جواز سفره .

- هذا ما لا أعرف تفسيره .

ثم أخبره بخلاصة المعلومات التي حصل عليها من باسبارتو .

قال القنصل : حسناً ، يبدو أنه الرجل الذي تسعى للإمساك به ، ولكن ما الذي ستفعله الآن؟

قال فيكس ببرود وبنبرة غير مبالية : سأرسلُ برقية إلى

لندن أطلب فيها أن يرسلوا إليّ مذكرةً بالقبض عليه في مومباي التي هي أرض إنكليزية . لذلك سأصعد على متن «مونغوليا» وأتبع السارق إلى الهند وهناك سأتوجه إليه بكل أدب وأنا أمسك التصريح بيدٍ وأضع الثانية على كتفه وألقي القبض عليه .

بعد ذلك ودّع فيكس القنصل وذهب إلى مكتب التلغراف وأرسل برقية إلى قائد شرطة سكوتلانديارد في لندن مفادها أنه عثر على لص البنك ، واسمه فيلياس فوغ ، إذ تنطبق عليه الأوصاف التي أرسلتها شرطة لندن ، وبالنظر إلى عادات السيد فوغ وعزلته وطريقته في مغادرة البلاد بسرعة بعد السرقة بثلاثة أيام بحجّة كسب رهان! .. فلا بدّ أنه يرمي بذلك إلى تضليل الشرطة والنجاة بنفسه والأموال التي سرقها . وأنه بناء على ذلك ينبغي إرسال أمر بالقبض عليه إلى مومباي ، ليقوم فوراً بتنفيذه . ثم صعد فيكس على ظهر «مونغوليا» ، التي ما لبثت أن بدأت تشقّ طريقها عبر البحر الأحمر متوجّهة إلى الهند .

كان معظم المسافرين على متن مونغوليا يقصدون الهند ، فقلّة منهم كانوا سيتابعون طريقهم بعدها ، فمنهم من كان يقصد مومباي والآخر كالكوتا عن طريق هذه الأخيرة ، إذ تصل سيّكة الحديد التي تمّ إنشاؤها ، شرق الهند بغربها ، وهو طريق قصير بالمقارنة مع الخط البحري الذي يمر بجزيرة سيلان .

لم يكن السيد فوغ مهتماً برؤية المناظر الطبيعية ، وعضاً

عن ذلك قضى أغلب وقته وهو يتناول وجباته أو يلعب الورق ، وعلى العكس منه كان باسبارتو يقضي معظم الوقت على ظهر الباخرة لمشاهدة ما يرون به من مناطق .

في اليوم التالي من مغادرة السفينة السويس التقى باسبارتو صدفة بفيكس وقال له : إذا لم أكن مخطئاً فأنت الشخص الطيب الذي ساعدني في السويس .

قال فيكس : نعم وأنت خادم السيد الإنكليزي الغريب الأطوار .

- نعم يا سيد ...

- فيكس

- أنا سعيد بوجودك على متن السفينة معنا . إلى أين

ستذهب؟

- إلى مومباي مثلك .

- هذا رائع! هل ذهبتَ إلى هناك من قبل؟ هل الهند مكانٌ

جميلٌ ومسلٍ؟

أجاب فيكس الذي لم يكن في نيته أن يتكلم كثيراً : آه

نعم أنا أعمل لدى شركة (بينيسولار آند أورينتال) وهي

الشركة المالكة لهذه الباخرة مونغوليا . الهند ساحرة ، إنها

جميلة جداً وتحتوي الكثير من الأشياء الرائعة من مساجد

ومآذن ومعابد ونور وأفاعي وفيلة ، أتمنى أن يكون لديك متسع

من الوقت لرؤيتها .

قال باسبارتو : أتمنى ذلك أيها السيد فيكس ، إنه لمن الجنون أن يمضي الإنسان حياته قافزاً من سكة القطار إلى السفينة ومن السفينة إلى سكة القطار كي ينجز الرحلة حول العالم خلال ثمانين يوماً . لكن لدي شعور أن هذه المغامرات ستنتهي في مومباي .

سأل فيكس بنبرة طبيعية ومن غير مبالاة : وكيف حال السيد فوغ؟

- إنه بخير وأنا كذلك . إنني أكل كثيراً ، تقريباً ما يكفي ثلاثة أشخاص ، أعتقد أن السبب هو هواء البحر الذي يجعلني أشعر بالجوع .

- إنني لا أرى سيدك على ظهر السفينة .

- هو لا يحب الاختلاط بالناس .

- أتعرف يا سيد باسبارتو أن هذه الرحلة المزعومة حول العالم في ثمانين يوماً قد تكون ، غطاءً لأمر سريّ كمهمة دبلوماسية مثلاً . . .

- في حقيقة الأمر يا سيدي أنا لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر وعلاوة على ذلك لا يهمني أن أعرف .

تلى هذا الحديث أحاديث كثيرة أخرى حيث شعر فيكس أنه من الضروري أن يكسب ثقة خادم الشخص الذي يتبعه لعله يكون ذا منفعة .

وصلت السفينة إلى ميناء عدن للتزود بالفحم وكان من

المخطط لها أن تبقى هناك قرابة الأربع ساعات ، ولكن ذلك لن يؤثر على مخطط السيد فوغ حيث أن السفينة وصلت في ظهر اليوم الرابع عشر وكان من المفترض وصولها في صباح اليوم الخامس عشر من أكتوبر وبذلك يكون قد كسب خمس عشرة ساعة .

نزل السيد فوغ إلى الشاطئ للحصول على التوقيع والختم على جواز سفره ، وكذلك نزل باسبارتو حيث أنه لم يكن ليضيع فرصة لمشاهدة أي مكان جديد ، وقد حدث نفسه قائلاً : يا له من أمر ممتع و مسلي ، فعلاً إذا ما أراد الإنسان الاستكشاف ومشاهدة الأشياء الجديدة والغريبة فعليه بالسفر والترحال . وفي يوم الأحد العشرين من أكتوبر ظهرت الهند على مد البصر .

وصلت السفينة إلى مومباي قبل موعدها المتوقع بيومين في تمام الرابعة والنصف بعد الظهر وقد دوّن السيد فوغ ذلك في مفكرته . كان موعد القطار المتوجه إلى كالكوتا في تمام الثامنة ، وكما هو متوقع نزل السيد فوغ إلى مكتب الجوازات وتوجه السيد فيكس إلى مركز الشرطة ليستفسر إذا ما وصل التصريح بإلقاء القبض على سارق البنك إلا أن أمله قد خاب فالتصريح لما يأتي بعد . طلب من رئيس شرطة مومباي أن يعطيه تصريحاً بالقبض على السيد فوغ إلا أن رئيس الشرطة رفض ذلك لأن هذا الأمر يخص شرطة لندن وليس له شأن به على الإطلاق

لذا فهو لا يستطيع اتخاذ أي إجراء . كان فيكس على يقين بأن السيد فوغ لن يذهب أبعد من مومباي ولذلك قرر أن ينتظر حتى يأتي الأمر من لندن وعندها سيقبض عليه . أما باسبارتو فقد علم في هذه اللحظة أن مومباي ليست نهاية الرحلة ولا حتى استراحة ، فلقد أخبره سيده بأنهما سيغادران إلى كالكوتا على متن قطار الليل مما جعله يشعر بأن قصة الرهان هذه أمر جدّي وأنهما بالفعل في رحلة حول العالم .

أراد باسبارتو القيام بجولة في هذه المدينة الساحرة المكتظة ببشرٍ من مختلف الألوان والأجناس ولكن ولسوء الحظ أودت هذه الرغبة به وبسيده إلى الوقوع في مأزقٍ خطير ، فما حصل كان التالي :

عندما كان باسبارتو متجهاً نحو المحطة ، مرّ أمام المعبد الكبير «مالبار هيل» وذُهِلَ بجماله من الخارج فأحب أن يستكشفه ويشاهده من الداخل وهذا ما حاول فعله ، لكن الشاب الفرنسي لم يكن يعلم شيئاً عن قوانين هذه المعابد الصارمة ، فأولاً لا يُسمح للأجانب بالدخول إلى المعابد الهندية حيث أن القانون صارم في هذه النقطة بالذات . ثانياً لا يُسمح حتى للهنود أنفسهم بدخول هذا المعبد بأحذيتهم بل يتوجب عليهم خلعها وتركها في الخارج .

دخل باسبارتو المعبد دون أن يخلع حذاءه فقد كان مسحوراً بجمال المعبد . وفي غمرة انبهاره به ، ألقى ثلاثة رهبان

بأنفسهم فوقه وخلعوا حذاءه وأخذوا يضربونه! ولما كان باسبارتو قوياً وسريع الحركة تمكن من طرحهم على الأرض جميعاً والركض خارج المعبد حتى وصل إلى محطة السكة الحديدية في الثامنة إلا خمس دقائق أي قبل دقائق قليلة من انطلاق القطار وكان بلا قبعة ودون حذاء . وكان فيكس واقفاً على رصيف المحطة فلحق به وحين عرف أنه سيغادر مومباي قرر أن يتبعه إلى كالكوتا وحتى إلى أبعد من ذلك إذا اضطره الأمر ، لم يره باسبارتو غير أن فيكس سمعه يروي لسيدة مغامرته ، فقال السيد فيلياس فوغ وهو يدخل إلى القطار : لا تسمح بتكرار ذلك مرة ثانية .

وتبعه باسبارتو دون أن ينبس ببنت شفة . وعندما كان فيكس يهيم بالدخول إلى عربةٍ أخرى في القطار خطرت بباله فكرة أفضل غيرت من خطته وقال لنفسه : سأبقى هنا فقد تم خرق القانون في الهند وأنا أعرف ما عليّ فعله لقد أمسكت بالرجل .

-٦-

رحلة القطار العاشرة

كان برفقة السيد فوغ وباسبارتو على عربة السكة الحديدية مسافر يُدعى السير فرانسيس كرومارتي الذي كان شريك السيد فوغ في لعب الورق على متن الباخرة مونغوليا ، وهو ضابط في الجيش الإنكليزي وينوي التوجه إلى بيناريس . اتخذ هذا الرجل من الهند موطناً له فقلّت زيارته إلى إنكلترا خاصةً أنه اعتاد طبيعة الهند وتقاليدها . ولم يُد السيد فوغ اهتماماً بأي من هذا وبدأ أشبه بكُرّة جامدة تحاول عبور المدار حول الكرة الأرضية وفقاً لقوانين الميكانيك ، فكان يحسب عدد الساعات التي استغرقها في رحلته منذ مغادرته لندن ، وقد لاحظ السيد فرانسيس غرابة أطوار السيد فوغ وتساءل إذا ما كان هنالك قلب بشري ينبض داخل هذا الرجل البارد وعمّا إذا كان لدى هذا الرجل أي شعور بجمال الطبيعة . توقّف القطار في أول محطة له في برهامور للتزوّد بالفحم فنزل باسبارتو واشترى خفّاً هندياً مزيناً باللالئ المقلّدة ، حيث لم يتمتع سابقاً بشيء جميل كهذا ، وقد كان يستمتع بمشاهدة الطبيعة والمعابد والحيوانات من نافذة القطار ، وبدأ يعتقد بأن

قصة الرهان هذه حقيقية وأخذ يفكر بالعراقيل والصعوبات التي قد تواجههم وتتسبب بتأخيرهم واعتبر نفسه طرفاً في هذا الرهان مما جعله يشعر بالخوف من أن يكون سبباً في خسارته عن طريق ارتكاب حماقة أو القيام بفعل غير مسؤول كما فعل البارحة .

في صباح يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من أكتوبر سأل السير فرانسيس باسبارتو عن الوقت ف سحب باسبارتو ساعته الكبيرة وأجابه قائلاً : إنها الثالثة .

قال السير فرانسيس : هذا مستحيل ! يجب أن تكون السابعة على أقل تقدير !

قال باسبارتو : إن ساعتي لا تخطئ .

وحاول السيد فرانسيس عبثاً أن يشرح لباسبارتو أنهم يتجهون شرقاً وبالتالي تصبح الأيام أقصر وأنه مع كل خط طول يجتازونه يحدث فارقٌ بالتوقيت يُقدَّر بأربع دقائق على الأقل ، غير أن باسبارتو لم يتمكن من استيعاب ذلك فقال : إن ساعته لا بد وأن تكون على الصواب وأن الشمس هي المخطئة وطالما أن الساعة تشير إلى الثالثة فمن رابع المستحيلات أن تكون السابعة .

ولما ازدادت معرفة السيد فرانسيس برفاقه المسافرين وعرف سبب رحلتها أصابه الحماس حيال الأمر وأخذ يصغي للسيد فوغ بانتباه ثم قال له : ستكون رجلاً محظوظاً إذا تمكنت من

اجتياز العالم خلال ثمانين يوماً ، غير أن الكثير من الأمور قد تطرأ ، فقد يظهر حادثٌ ما أو ما شابه ذلك .
أجاب السيد فوغ : ولو حصل أي من هذا إضافة للحوادث فأنا واثق من نجاحي .

فرد السير فرانسيس : على سبيل المثال ، مغامرة خادمك الخطيرة في مومباي . ليس لديك أدنى فكرة عن مدى صرامة الحكومة الإنكليزية في الهند حيال هذه الأمور فربما يُقبَضُ عليه ويُعاقَب . . .

قاطع السيد فوغ قائلاً : حسناً . . إذا قُبِضَ على خادمي فسأشعر بالحزن وأكون أسفاً لكنه هو الذي سيعاقب وليس أنا ، فأنا سأتابع رحلتي .

أجاب السير فرانسيس : حسناً ولكن قد تحصل أشياء أخرى تتسبب في تأخيرك . . .

دخل القطار في هذه اللحظة إلى إحدى المحطات وتوقف ، ثم سُمِعَ صوت ينادي : على جميع المسافرين النزول هنا!
قفز باسبارتو من القطار ليعرف ما القصة وعاد بعد قليل قائلاً : هذه هي نهاية خط سكة الحديد .

سأل السير فرانسيس : وماذا تعني بذلك؟
قال باسبارتو : أعني أن القطار لن يتحرك أبعد من ذلك .
نزل المسافرون من القطار وذهب السير فرانسيس إلى الموظف وسأله : أين نحن الآن؟

أجاب الموظف : نحن في قرية اسمها كهولبي .
سأل ثانية : ولماذا توقفنا؟

فأجابه الموظف : هذه نهاية خط السكة الحديدية ، إن
الخطوط الحديدية لم تكتمل بعد ، ولا يوجد مزيد من القضبان
وهناك خمسين ميلاً من هنا إلى الله أباد لم تشيّد بعد .
قال السيد فرانسيس : لكن الصحف تقول أن الخط قد
اكتمل .

أجاب الموظف : إذاً لقد أخطأت الصحف وهذه ليست
مشكلتي .
أضاف فرانسيس : لكننا دفعنا تذكرة القطار من مومباي
إلى كالكوتا .

قال الموظف : جميع المسافرين يعرفون بأنّ عليهم إيجاد
وسيلة نقل تقلّهم من هنا إلى الله أباد .
هنا احمر وجه السيد فرانسيس من الغضب وكان باسبارتو
على استعداد للدخول في عراك مع موظف سكة الحديد لكنه
لم يتجاسر على النظر إلى وجه سيّده الذي قال بكل هدوء :
حسناً سير فرانسيس أعتقد أنه علينا إيجاد سبيل للوصول إلى
الله أباد .

قال فرانسيس : أعتقد أن هذا يضع حداً لخطّتك
ومغامرتك .

رد السيد فوغ : على الإطلاق لقد توقعت ذلك .

ردّ فرانسيس مندهشاً : أكنت تعلم أن خط السكة الحديدية لم يكتمل بعد؟!

رد السيد فوغ : أبداً غير أنني كنت أعرف أن شيئاً من هذا القبيل سيحصل بالتأكيد ولكن هذا ليس بالأمر الخطير إذ أنني أسبق مواعيدي بيومين كما أن السفينة ستغادر كالكوتا إلى هونغ كونغ في الساعة الثانية عشرة من اليوم الخامس والعشرين من أكتوبر وأنا في اليوم الثاني والعشرين فقط أي أننا سنصل إلى كالكوتا في الميعاد المناسب .

كانت هذه المنطقة هي نهاية السكة الحديدية وأخطأت الصحف كما هي عاداتها ، وكان أغلب المسافرين يعلمون ذلك وقد قاموا مسبقاً باستئجار عربات وجياد لتقلّهم إلى الله أباد ولكن يا لحظ السيد فوغ والسير فرانسيس العاثر فعندما توجّهوا لإيجاد أيّ وسيلة نقل كان الوقت قد فات ولم يعثرا على شيء .

قال السيد فوغ : إذا سأذهب سيراً على الأقدام .
كان حظ باسبارتو أفضل من حظيهما ، فقال بنبرة مترددة :
أعتقد أنني وجدت طريقة .
أجابا : وما هي؟

قال باسبارتو : فيل ! . . فيلٌ ضخّم يمتلكه أحد الهنود في المنطقة القريبة .

قال السيد فوغ : إذا فلنذهب إلى الهندي لنرى الفيل .

و بعد خمس دقائق وصل المسافرون إلى القرية ووجدوا كوخاً في داخله أحد الهنود وإلى جواره وقف فيلٌ ضخماً يُدعى كيوني . وخرج الهندي من الكوخ تلبية لنداء المسافرين الثلاثة . سأله السيد فوغ إذا ما كان ممكناً استئجار الحيوان؟ قال الهندي : لا

ثم عرض عليه أن يستأجره بمبلغ ١٠ جنيهات في الساعة ثم ٢٠ جنيهات وكان كلما ازداد السعر يقفز باسبارتو في الهواء واستمر السيد فوغ بزيادة المبلغ حتى وصل إلى ٤٠ جنيهات وذلك يعني أنه لو استغرقت الرحلة ١٥ ساعة لأخذ الهندي مبلغ ٦٠٠ جنيهات .

عرض السيد فوغ على الهندي بعد ذلك شراء الفيل دون أن يبدو عليه أي علامة على نفاذ الصبر واقترح أن يدفع ألف جنيه مقابل حصوله على ذلك الفيل ولكن ذلك لم يساعده في إقناع الهندي الذي رفض الاستغناء المطلق عن الفيل . طلب السير فرانسيس من السيد فوغ أن يتحدث إليه على انفراد ونصحه بالتريث إذ يبدو جلياً أن هذا الهندي الطمّاع سيتمادى في الأمر .

فقال السيد فوغ : أنا لا أفكر بالأمر مرتين بل أتخذ قراري مرة واحدةً دونما تراجع ، الأمر بسيط يجب أن أكسب رهاناً بقيمة ٢٠ ألف جنيهه وكي أكسب الرهان يجب أن أشتري الفيل حتى لو دفعت عشرين ضعف ثمن الحيوان .

عاد السيد فوغ مجدداً إلى الهندي القصير ذو العيون الحادة والتي تظهر أمارات الطمع على قسمات وجهه واضحة فهو لا يلقي بالاً لشيء سوى المال . عرض عليه ١٢٠٠ جنيهاً فرفض فاستمر السيد فوغ بزيادة المبلغ حتى وصل إلى الألفي جنيه وعندها فقط وافق الهندي على البيع .

يتوجب على المسافرين الآن الانتقال إلى الخطوة الثانية وهي إيجاد شخص يعرف كيف يقود الفيل . كان هذا الأمر سهلاً ، وربما أسهل من سابقه على الأقل إذ عرض صبي هندي هندوسي جميل الوجه خدماته عليهم فوعده السيد فوغ بمكافأة مجزية فبدا الفرع على وجهه ظاهراً .

أخذ الصبي يجهز ترتيبات الجلوس على ظهر الفيل وبدا أنه يعرف عمله جيداً إذ قام بتثبيت كرسي على كل جانب ، وبهذا أعد ما يُعرف بالهودج . في هذه الأثناء ، دفع السيد فوغ المال للهندي مما جعله باسبارتو يشعر بالغثيان . كما عرض السيد فوغ على السيد فرانسيس أن يوصله إلى الله أباد فراكب إضافي لن يثقل كاهل الحيوان الضخم فقبل السيد بذلك . بعد أن اشترى المسافرون الطعام من القرية ، جلس السير فرانسيس على كرسي وجلس السيد فوغ على الكرسي الآخر بينما جلس باسبارتو على ظهر الفيل وجلس الصبي الهندي على رقبته . بدأت رحلتهم في تمام التاسعة وبعد مغادرة القرية سلكوا أقصر طريق عبر غابة من النخيل .

-٧-

مغامرة السوتي

لم يكن السيد فوغ والسير فرانسيس مرتاحين في الهودج وكان باسبارتو يقفز كالكرة على ظهر الفيل لكنّه كان سعيداً فشعر بأنّه كالمهرج في السيرك . شاهدوا في طريقهم الكثير من الحيوانات وأكثرها كانت القروود . ساروا طوال اليوم في طريق الغابة وفي تمام الساعة الثامنة مساءً كانوا قد اجتازوا نصف الطريق إلى الله أباد ، بعد ذلك أخذوا استراحة حتى السادسة من صباح اليوم التالي ، حيث قال لهم الصبي الهندي بأنهم قد يصلون إلى وجهتهم هذا المساء . عند الساعة الرابعة بعد الظهر أصبحوا داخل غابة كثيفة وعندها سمع المسافرون صخباً وضجيجاً وصراخاً . توقف الصبي الذي بدت على وجهه أمارات القلق ونزل عن الفيل ، وربطه إلى شجرة وزحف إلى الغابة وعاد بعد دقائق قليلة قائلاً : هناك خطرٌ مُحْدَقٌ بنا إنهم مجموعة من البراهمة .^(٣) يجب ألا يرونا ، علينا بالاختباء ؛ ثم

(٣) هم المنتمون إلى الطبقة العليا من الهندوس ولا يكون الكهنة والسدنة إلا

منهم . (المترجم)

قام بفكّ الفيل وقاده إلى مكان لا يستطيع أحد رؤية المسافرين فيه . أخذت الأصوات تقترب شيئاً فشيئاً وكان المسافرون ينتظرون ويراقبون . وصلت مجموعةٌ من الناس يتقدمهم رجال دين يعتمرون قلنسوات ويرتدون أثواباً طويلةً ، محاطين برجال ونساء وأطفال . كانت خطواتهم مزيجاً بين المشي والرقص وكانت أصواتهم تتفاوت بين الإنشاد والصراخ يتبعهم آخرون يجرون سيارةً ذات عجلات كبيرة يوجد داخلها هيكل ضخم لرجل أو امرأة بأربعة أذرع ، مطلي بالكثير من الألوان الصارخة وهذا ما جعله يبدو مخيفاً . عرف السير فرانسيس هذا الهيكل فقال : يا إلهي إنها الآلهة كالي ، آلهة الحب والموت .

قال باسبارتو : من الممكن أن تكون آلهة الموت فشكلها يوحي بذلك ، لكن آلهة الحب!! فهذا ما لا أعتقد . يا لها من امرأة قبيحة! أشار الصبي الهندي له بأن يلتزم الصمت وطلب من الجميع أن يحافظوا على هدوئهم . كانت مجموعة من رجال الدين تمشي خلف هذا الموكب ، يقتادون بعنف امرأة على طول الطريق ، بدت ملامحها أوروبية فقد كانت بيضاء وصغيرة تمشي بصعوبة وتبدو عليها علامات التعب والإرهاق . كانت ترتدي الكثير من الأساور والأطواق والخواتم فظهرت مغطاة بالذهب والأحجار من رأسها إلى أسفل قدميها . تبعتهم مجموعة ثانية من براهمة يحملون جثة رجل عجوز كان يرتدي ثياب أمير هندي جميلة .

قال السير فرانسيس بأسى : إنها السوتي (٤) .
أوماً الهندي موافقاً . ثم بعد أن انتهى الموكب ومَرَّ جميع
رجال الدين ولم تعد أصوات ضجيجهم مسموعة ، سأل السيد
فوغ : وماذا يعني السوتي .

قال السير فرانسيس : هي نوع من القربان البشري يتم فيها
وَهْبُ جسد المرأة التي توفي زوجها للآلهة . ستُحرق هذه المرأة
المسكينة صباحاً عند شروق الشمس .

قال باسبارتو : يا لهم من أشرار متوحشين ، ولن هذه
الجثة؟

أجاب السائق الهندي : إنها لزوجها الأمير المتوفي ، لقد
توقفت هذه العادة في معظم أنحاء الهند إلا أنك لا تستطيع أن
تفعل شيئاً في المناطق المتخلفة .

فصاح باسبارتو : إذاً ستُحرق هذه المرأة وهي حية؟!
أجاب فرانسيس : نعم ستُحرق وهي على قيد الحياة . وإنْ
نَجَتْ من هذا ، فستعاني شقاءً لن يكون في مقدورها تصور
حجمه ، سيحلقون شعرها ويعاملونها معاملة سيئة كأنها حيوان
قذر فلا يقدمون لها أي طعام يذكر ، لذا فالكثير من النساء

(٤) إحراق الأرملة الهندوسية نفسها في محرقة زوجها المتوفي إشارة على
إخلاصها له . ولم تعد السوتي تُطبَّق في أي مكان في الهند الآن بعد منعها
وتحريمها . (المترجم)

التعيسات تفضّلن الموت حرقاً على هكذا حياة . في بعض الحالات ، تضحّي النساء بأرواحهن بملء إرادتهن . أذكر مرة أن شابة أرادت أن يحرقوها مع جثة زوجها الشاب ولما رفض الحاكم ذلك ذهبت إلى بلدة أحد الأمراء الهنود وهناك كان لها ما أرادت . . .

قاطعته الهندي بعد أن هز رأسه عدة مرات : هذه السيدة لا تذهب إلى موتها بإرادتها . إنها مرغمة على ذلك . قال السير فرانسيس : لكنها لا تُبدي أي علامات مقاومة ولا يبدو عليها الرغبة بالهرب .

أجاب الهندي : هذا لأنهم يرغمونها على شرب أوتدخين شيء يجعلها لا تدري بما يدور من حولها .

قال السير فرانسيس : وكيف لك أن تعرف بهذا؟

أجاب الهندي : جميع الناس هنا يعرفون قصة هذه المرأة . إنها فتاة هندية ذات جمال ساحر واسمها عودة . كان والدها تاجراً في مومباي وحصلت على تعليمها في المدارس الإنكليزية ولما توفي والدها وهي صغيرة قاموا بإجبارها على الزواج بأمير عجوز توفي فقط بعد ثلاثة أشهر ولعلمها بما سيحصل لها لاذت بالفرار ولكنهم قبضوا عليها مؤخراً وسوف يحصل شقيق الأمير على ثروته لذا عجلوا بإعداد موكب الموت المهيب المخصص لها والذي رأيناه منذ قليل .

سأل السيد فوغ : إلى أين سيأخذونها؟

أجاب الهندي : إلى معبد بيللانجي والذي يقع على بعد ميلين من هنا حيث ستقضي الليل قبل أن يقوموا بحرقها فجراً .

وعندما كانوا يستعدون لمتابعة رحلتهم التفت السيد فوغ إلى السير فرانسيس وقال له : ما رأيك أن ننقذ الفتاة؟
قال السير فرانسيس : أنت! أنت أيها السيد فوغ تريد أن تنقذها؟

قال السيد فوغ : ما زلت أسبق خطتي باثنتي عشرة ساعة ويمكنني أن أهبطها لهذه المرأة .
قال السير فرانسيس : سيد فوغ أنت تمتلك قلباً رحيماً وطيباً جداً .

قال السيد فوغ : أحياناً ، عندما يكون لدي متسع من الوقت .

إذاً فالسيد فوغ سينحصر بوقته ونجاح رحلته كي ينقذ المرأة ،
تحمس باسبارتو لفكرة سيّده وشعر أنه قد بدأ يحبه إذ بدا له
جلياً أن سيّده يمتلك قلباً وروحاً ، وقال لهم الهندي أنه يود
المساعدة كذلك وهو يعرف أين يقع المعبد وأنه متأكد من أن
الفتاة في داخله .

قرروا الذهاب إلى أقرب نقطة من المعبد ، وبعد نصف ساعة وصلوا إلى مكان مغطى بالأشجار الكثيفة حيث لا يمكن لأحد رؤيتهم . وأخذوا يفكرون بالطريقة الأمثل لإنقاذها . هل

يقومون بإخراجها من المعبد خلال نوم رجال الدين؟ أو يقومون بإحداث حفرة في جدار المعبد؟ وهذا أكثر أماناً! لا يمكن اتخاذ قرار في مثل هذه الحالات إلا عندما تحين اللحظة الحاسمة ، هناك أمرٌ واحدٌ مؤكدٌ لا شكّ فيه ، وهو أن إنقاذها يجب أن يتم خلال الليل قبل أن تحين لحظة اقتيادها إلى مكان حرقها فعندئذ لن يتمكن أي إنسان من مساعدتها .

انتظر السيد فوغ ورفاقه حلول الليل وفي تمام السادسة تحركوا باتجاه المعبد ليقرروا ما يتوجب عليهم فعله . لم تعد أصوات الضوضاء تصل إلى مسامعهم إذ يبدو أن الهنود قد دخّنوا أو شربوا شيئاً ما ، فدخلوا حالة سبات عميق ، فأصبح بإمكان أي شخص كان أن ينسل بينهم ويدخل المعبد بسهولة . تقدّم الهندي أولاً وتبعه الآخرون وبعد فترة قصيرة وصلوا إلى حافة جدول ماء ، وهناك شاهدوا كومة من الخشب أعدّها الهنود حيث كانت ترقد جثة الأمير الهندي التي ستحرق مع الفتاة التي يسعون لإنقاذها ، فيما يقع المعبد على الجانب الآخر من الكومة الخشبية على مسافة عدة مئات من الأقدام .

همس السائق الهندي : هيا اتبعوني .

وبعد ذلك وصلوا إلى مكان يعجّ بالهنود النائمين من نساء ورجال وأطفال ، ولكن ولسوء الحظ كان هناك رجال مستيقظون يذرعون المكان أمام أبواب المعبد جيئةً وذهاباً للحراسة . توقف

الهندي في مكانه ولم يخطُ خطوة واحدة ، فقد شعر باستحالة دخول المعبد من أبوابه وعاد إلى رفاقه الذين فهموا بأنه لا يمكنهم القيام بأي شيء في هذه الحالة . قال السير فرانسيس : حسناً لا يزال الوقت مُبكراً ، والساعة لا تزال الثامنة ، فلننتظرهم قليلاً لربما سيخلد هؤلاء الرجال للنوم فيما بعد .

وهكذا رقد السيد فيلياس فوغ مع رفاقه أسفل الشجرة وانتظروا . شعر الجميع بثقل ، وكأن الوقت لا يمر . وكان السائق الهندي يتركهم أحياناً ليراقب ما يجري ، فيما لبث الباكون في مكانهم حتى منتصف الليل .

لم يحصل أي تغيير ، وبدا أنه ليس في نية الحراس الخلود إلى النوم . وهنا لم يعد أمامهم سوى حل واحد وهو أن يُحدثوا حفرة في جدار المعبد لكن عليهم بدايةً أن يعرفوا إن كانت الحراسة داخل المعبد مشددةً كما الحال خارجه ، بعد عدة مناقشات أخيرة ، قال الهندي بأنه مستعدٌ للمحاولة ، وتبعه الآخرون وبعد نصف ساعة وصلوا إلى المعبد من الجهة الخلفية دون أن يصادفوا أحداً ، حيث لم يكن هناك لا أبواب ولا نوافذ . كانت ليلة مظلمة وضوء القمر خافت يكاد أن يختفي وراء السحب في هذه الغابة ذات الأشجار المتشابكة . لم يكن عليهم إلا أن يصلوا إلى جدار المعبد وأن يحدثوا فتحة فيه ليدخل أحدهم من خلالها وينقذ المرأة ، ولتنفيذ ذلك لم يكن السيد فوغ وأصدقائه يحملون ما يساعدهم في تنفيذ هذه المهمة

سوى سكاكين الجيب إلا أن جدار المعبد ومن حسن حظهم كان مصنوعاً من الخشب . بدأوا العمل بهدوء شديد وبأقل ضجة ممكنة وبالفعل تمكن الهندي وباسبارتو من صنع الفتحة في الجدار لكنهم سمعوا فجأة صوت صرختين متتاليتين إحداهما داخل المعبد والثانية خارجه . فتوقفوا عن العمل .

ما الذي حصل؟ أيعقل أن يكون الحراس قد شعروا بهم؟ رجعوا ثانية إلى مخبئهم بين الأشجار ، ومضى الوقت دون أن يسمعوا أي شيء سوى السكون فعادوا إلى جدار المعبد ونظروا من خلال الفتحة فشاهدوا رجال الدين في الداخل يحرسون المكان الذي تنام فيه المرأة!!

من الصعب وصف خيبة الأمل التي كانت باديةً على الرجال الأربعة فقد كانوا قاب قوسين أو أدنى من تحرير الفتاة . فشلوا رغم كل ما بذلوه من جهد . بدأ السير فرانسيس يعضّ أصابعه ، واعتريّ باسبارتو غضبٌ شديد ، ولم يستطع الهندي إخفاء مشاعره ، أما السيد فوغ فلم يبدي أي انفعال ، بل وكما كانت عادته ، حافظ على رباطة جأشه وهدوء أعصابه .

قال السير فرانسيس : لم يعد أماننا سوى المغادرة من هنا لن نستطيع فعل أي شيء .

قال الهندي : أنت على صواب علينا أن نبتعد من هنا .

لم ينطق باسبارتو بأية كلمة .

قال السيد فوغ : حسناً فلننتظر قليلاً لا حاجة لدي

للوصول إلى الله أباد قبل ظهر الغد .
قال السير فرانسيس : ما الذي ترجوه أيها السيد فوغ؟ بعد
ساعات قليلة سيظهر ضوء النهار و . . .
قاطع السيد فوغ : قد تسنح الفرصة التي نرجوها في
اللحظة الأخيرة .

تعجب السير فرانسيس من تفكير هذا الرجل الإنكليزي
البارد! ترى ما الذي يفكر فيه؟ هل يفكر بإلقاء نفسه على المرأة
الشابة في اللحظة التي يفكر فيها الهنود بحرقها؟ لا لا! هذا
تفكير مجنون والسيد فوغ رجل عاقل .
لم يسمح الهندي لرفاقه بالمكوث في ذلك المكان الخطير
بل اقتادهم إلى مكان آمن بين الأشجار يستطيعون منه رؤية
كل شيء من دون أن يراهم أحد .

-٨-

خطة باسبارتو

كان لدى باسبارتو فكرةً ما ، وبدأ يضع خطةً بينما كان جالساً على الأغصان المتدلية من إحدى الأشجار ، لكنه قال بينه وبين نفسه «يا لها من خطة غبية من المستحيل أن تنجح» ، ثم تابع التفكير «لكن لِمَ لا؟» إنها فرصة قد تكون فرصتنا الوحيدة . بعد ذلك أخذ يزحف على الأغصان المتدلية من الشجرة والتي كانت نهايتها تتجه نحو الأرض .

مضى الوقت ، وبدأت علامات شروق الشمس تلوح في الأفق فاستيقظ الرجال النائمون وأخذت أصوات الإنشاد والصراخ تنتشر في الجو مجدداً ، الآن ستحمل الفتاة المسكينة إلى حتفها! فُتِحَتْ أبواب المعبد وتمكن السيد فوغ والسير فرانسيس من رؤية الفتاة ورجال الدين الذين يحملونها . بدتُ للحظة وكأنّها تحاول الهرب غير أنها سرعان ما عادت إلى حالة النوم التي تسببت بها المادة التي أرغمت على تدخينها . اتجه مجموعة من الهنود نحو كومة الخشب وتبعهم السيد فوغ ورفاقه وبعد دقيقتين وصلوا إلى الجدول الصغير الذي يبعد عن كومة الخشب قرابة خمسين خطوة وكان بإمكانهم رؤية جثة الأمير

راقدة فوقها وإلى جانبها الفتاة . بعد ذلك قام رجال الدين بصب الزيت على الخشب كي يحترق بسهولة ، وأضرموا النار ، فما لبث الخشب أن بدأ بالاحتراق ، وعندها أمسك السير فرانسيس والصبي الهندي السيد فوغ من ظهره لأنه كاد يلقي بنفسه نحو النار ، ولكنه ألقى بهما أرضاً .

فجأة ، تغير المشهد تماماً وانطلقت صرخة ذعر في الفضاء وألقى الهنود جميعهم بأنفسهم على الأرض في حالة هلع شديد . لم يكن الأمير العجوز ميتاً بعد كل هذا ، لقد شاهده وهو يهب واقفاً ويلتقط زوجته بذراعيه ويحملها متجاوزاً سحب الدخان . سجد رجال الدين والآخرين ووضعوا وجوههم في الأرض إذ لم يتجرأوا على مشاهدة هذا المنظر المرعب . كان السيد فوغ والسير فرانسيس في حالة ذهول وأحنى الهندي رأسه . لا بد أن باسبارتو كان في حالة مشابهة من الدهول! تقدّم الرجل الذي بُعث إلى الحياة مجدداً حاملاً الفتاة بين يديه باتجاه المسافرين واقترب منهم وقال : هيا بنا .

كان هذا الأمير العجوز هو باسبارتو نفسه! تسلل أثناء الليل من خلال فروع الأشجار ، وتسلق كومة الخشب في غفلة من الهنود ، واتخذ من الظلام ستاراً فارتدى السترة المذهبة التي أخذها من الأمير ورقد بجانب الجثة وبذلك تمكن من إنقاذ الفتاة . لقد تصرف بجسارة بالغة وكان محظوظاً ، ما مكنه من النجاح . ويلمح البصر اختفى الرجال الأربعة في أعماق

الغابة ، وحملهم الفيل بعيداً بأقصى ما استطاع من سرعة .
غير أن الصراخ والعيويل بيّن لهم أن الحيلة قد كُشفت وقد
تمكنوا من رؤية الجثة الحقيقية للأمير فوق الخشب المحترق بكل
وضوح وعاد رجال الدين إلى رشدهم بعدما أفاقوا من
صدمتهم ، وأدركوا أن الفتاة قد خُطِفَتْ وهَبَّوا محاولين اللحاق
بالمسافرين والإمساك بهم غير أن الوقت كان قد فات .

نجح المسافرون في مهمتهم! وبعد ساعة كان باسبارتو ما
يزال يضحك إذ أدرك أن خطته قد نجحت ، وبدأ يتذكر أنه كان
يمثل دور الأمير العجوز زوج هذه الفتاة الفاتكة الجمال ، أمّا الفتاة
فلم يكن لديها أدنى فكرة عما حصل فهي لم تكن قد
استعادت وعيها بعد . كان الفيل يشق طريقه بسرعة في
الغابة ، وفي تمام السابعة ، توقف المسافرون للحصول على قسط
من الراحة . لم يكن السير فرانسيس يشعر بالقلق حول صحة
الفتاة فهو يعرف أنها ستتحسن وتصبح بخير بعد عدة ساعات
لكنّه كان يخشى على مستقبلها ، وقد أخبر السيد فوغ أن
هؤلاء الرجال سيحاولون قتلها مجدداً وأنها لن تكون في أمان
إلا عندما تغادر الهند .

أجابه السيد فوغ : حسناً سأفكر بالأمر . وصلوا إلى الله
أباد في تمام العاشرة وفي هذه المدينة تنطلق السكة الحديدية
مجدداً ، وتقطع القطارات المسافة من هنا إلى كالكوتا خلال
أقل من أربع وعشرين ساعة . يجب على السيد فوغ أن يصل

إلى كالكوستا في الوقت المناسب قبل إبحار السفينة إلى هونغ كونغ ، وقد عثر على غرفة في المحطة حيث يمكن للفتاة أن تنال قسطاً من الراحة ، وأرسل باسبارتو ليقوم بشراء ما يمكن أن تحتاجه من حاجيات ، وعندما عاد ثانية إلى المحطة لاحظ أن عودة أصبحت في حالة جيّدة لقد استيقظت وأدركت ما حصل . كانت فتاة جميلة بكل معنى الكلمة وكانت تتحدث الإنكليزية بطلاقة ، وقد بدتْ فاتنةً ومثقفة كذلك .

-٩-

القبض على المسافرين

كان القطار على وشك مغادرة الله أباد ، فوقف السائق الهندي منتظراً ، وحينها أعطاه السيد فوغ المبلغ المتفق عليه دون زيادة مما أدهش باسبارتو ، إذ كان الأخير يقدر له مساعدته وإخلاصه خاصةً وأنه إذا ما سمع رجال الدين في معبد بيللاجي بما قدمه من عون للمسافرين في محاولتهم إنقاذ الفتاة فلن يسامحوه وسينتقمون منه أشد الانتقام وستكون حياته في خطر . بعد ذلك قال السيد فوغ للهندي : لقد كنت مفيداً ومخلصاً ، وقد دفعتُ لك مقابل خدمتك إلا أنني لم أدفع لك لقاء إخلاصك ، أخبرني هل تريد هذا الفيل؟ إذا كنت تريده فهو لك .

قال له الهندي : لكنك يا سيدي تهمني بذلك ثروة .
قال له السيد فوغ : خذه يا صديقي ومع ذلك سأشعر بأنني مدين لك بالكثير .

قال باسبارتو : خذه يا صديقي إنه مكافأتك ، ثم ربت باسبارتو على خرطوم الفيل فحمله بخرطومه عالياً في الهواء وهو غارق في الضحك .

بعد دقائق معدودة ، صعد فيلياس فوغ وبرفقتة كل من السير فرانسيس كرومارتي وباسبارتو والفتاة «عودة» إلى متن القطار ، واستقلوا عربة مريحة متجهين إلى بيناريس التي تبعد عن الله أباد مسافة ثمانين ميلاً لكنهم وصلوا هناك خلال ساعتين . وقد استعادت عودة وعيها أثناء الرحلة ، وإنه ليعجز الإنسان عن وصف حالتها فقد أصابها ذهولٌ شديد عندما أدركت أنها داخل عربة على متن قطار ، ترتدي ثياباً أوروبيةً جديدةً برفقة أشخاص لا تعرفهم!

شرح السير فرانسيس لها كيف تم إنقاذها وأخبرها عن كرم السيد فوغ ، وروى لها خطة باسبارتو الجريئة فشكرتهم عودة ، وانهالت دموع الامتنان على وجهها ، ثم أخذت تفكر في وضعها الحالي ، وما مرت به من مصابٍ ، وبما كان ينتظرها من مصيرٍ بائسٍ لو بقيت في الهند . استطاع السيد فوغ أن يخمن ما يدور في خلدّها ، فخاطبها ببرود شديد ، وأكد لها أنه سوف يصطحبها إلى هونغ كونغ حيث يمكنها البقاء حتى تنقش غيمة الصيف هذه وتنسى ما أصابها أملاً بذلك أن يطمئنها ويريح بالها . وأبدت عودة امتنانها وشكرها له إذ أن أحد أعمامها يعيش في هونغ كونغ وهو تاجرٌ كبيرٌ يقطن في جزيرة بريطانية ملاصقة لساحل الصين .

وصلوا في تمام الساعة الثانية عشر والنصف إلى بيناريس وهنا ودعهم السير فرانسيس وتمنى للسيد فوغ أن يصل إلى

لندن في موعده وأن يكسب الرهان . وقالت له عودة بأنها لن تنسى مساعدته في إنقاذها من الموت .

توجّه القطار بعد ذلك إلى كالكوتا ، ووصل هناك في تمام السابعة صباحاً ، ولم تبحر السفينة حتى الثانية عشر ظهراً ، أي أن السيد فوغ وصل قبل موعده بخمس ساعات .

كان السيد فوغ على وشك مغادرة المحطة حين أوقفه شرطي وسأله : هل أنت السيد فوغ؟
فأجابه : أجل أنا .

سأل الشرطي : وهل هذا خادمك؟

أجاب السيد فوغ : نعم هذا هو .

قال الشرطي : أرجو أن تتبعاني .

لم يقل السيد فوغ أي شيء ، إذ لم يكن له أن يخالف أو يجادل الشرطي فهو رجل قانون والقانون بالنسبة للإنكليز أمر مقدس ، أما باسبارتو الفرنسي الأصل فسأل الشرطي والدهشة تعلقو محياه : ماذا تريد؟ ما معنى هذا؟ أخبرني أولاً!!

غير أن الشرطي ربت على كتفه وطلب منه السيد فوغ أن يطيع الأوامر . بعد ذلك سأل السيد فوغ الشرطي : هل من الممكن أن ترافقنا هذه السيدة؟

أجاب الشرطي : نعم ممكن .

قادهم الشرطي إلى عربة ذات أربع عجلات وجوادين وطلب منهم الصعود على متنها . استمرت الرحلة إلى مركز

الشرطة عشرين دقيقة ، لم ينبس أثناءها أيُّ من ركاب العربّة
ببنت شفة ، وحين وصلوا مركز الشرطة اقتيد الزوار إلى غرفة
حيث أعلمهم أحدهم بأنهم سيمثلون أمام القاضي عباديا في
تمام الثامنة والنصف وأغلقوا عليهم الباب .
قال باسبارتو : حسناً إذاً ها قد أودعنا السجن .

قالت عودة : عليك أن تتابع طريقك وتتركني لأواجه
مصييري بمفردي أيها السيد فوغ ، لقد ألقوا القبض عليك لأنك
أنقذتني .

أجاب السيد فوغ : توقفي عن ذلك . من المستحيل أن نمثل
أمام القضاء بسبب إنقاذ امرأة من كانوا سيحرقونها!
ثم أضاف : بكافة الأحوال أنا لن أتركك وسأخذك معي
إلى هونغ كونغ .

قال باسبارتو : لكن السفينة تغادر في تمام الثانية عشر!
أجابه السيد فوغ بطريقة جادة وواثقة : سنكون على ظهر
السفينة قبل الثانية عشر .

فتح الشرطي الباب عند الساعة الثامنة والنصف ونادى
على الموقوفين الثلاثة بمرافقته إلى القاعة وبعدها بقليل دخل
القاضي وجلس وهو يقول : نادِ على القضية الأولى .

فنادى الحاجب : السيد فوغ!

أجاب السيد فوغ : أنا هنا .

نادى الحاجب : باسبارتو!

قال باسبارتو : أنا هنا .

قال القاضي : لقد راقبنا القطارت من مومباي مدة اليومين الماضيين .

أجاب باسبارتو : لكن لماذا؟ ماذا فعلنا؟

قال القاضي : سترى ، والآن نادِ على أصحاب الشكوى ، ففُتِحَ الباب ودخل ثلاثة من رجال الدين إلى القاعة .
وعرف باسبارتو هنا أن هؤلاء هم الرجال الذين كانوا يسعون إلى قتل الفتاة .

وقف رجال الدين أمام القاضي بينما قرأ الموظف الشكوى :
إن السيد فيلياس فوغ وخادمه قد خالفا القانون بشكل واضح وجريء بخصوص ما جرى بأرض المعبد .

قال القاضي : هل سمعتما الشكوى؟

قال السيد فوغ وهو ينظر إلى ساعته : أجل .

قال القاضي : هل حصل هذا حقاً؟

قال السيد فوغ : نعم وإني أنتظر لأسمع ما سيقوله لك هؤلاء الرجال عما كانوا سيفعلونه في معبد بيللاجي قبل أن نوقفهم .

نظر رجال الدين إلى بعضهم وكأنهم لم يفهموا ما قاله .

فقال باسبارتو وكاد صبره ينفذ : نعم في معبد بيللاجي ،

حيث كنتم ستحرقون الفتاة المسكينة!!

وهنا نظر رجال الدين إلى بعضهم وكأنهم لم يفهموا شيئاً

مجدداً وبدا أن القاضي لم يفهم أي شيء كذلك ..
سأل القاضي مستفهماً : من كانوا سيحرقون في وسط
مدينة مومباي؟

أجاب باسبارتو : مومباي؟؟؟

قال رجال الدين : نحن نتحدث عن معبد مالابرهيل في
مومباي ، ولا علاقة لنا بمعبد بيللاجي .
و أضاف الموظف : وها هو هذا البرهان ، رفع الحذاء إلى
الأعلى . فقال باسبارتو : حذائي!!

لقد نسي كل من السيد فوغ وباسبارتو ما حصل في
مومباي تماماً ، وهذا كان السبب في إحضارهما للمثول أمام
المحكمة اليوم .

كان السيد فيكس قد تمكن من الاستفادة من حادثة
الحذاء في مومباي ، فذهب إلى معبد مالابرهيل وأقنع رجال
الدين بتقديم شكوى ضد باسبارتو الذي دخل المعبد بحذائه
وضربهم . وأخبرهم بأن القوانين صارمة في هذه الأمور وأنه
سيدفع غرامة كبيرة ، فاقنع الرجال ووافقوا على الذهاب مع
فيكس إلى كالكوته .

بعد ذلك قام فيكس بإرسال برقية من مومباي إلى شرطة
كالكوته يطلب فيها إيقاف السيد فوغ وباسبارتو عند وصولهما إلى
المدينة . وكان السيد فوغ قد قضى في إنقاذ عودة بعض الوقت
فوصل فيكس إلى كالكوته قبله ، ولما كان هذا الأخير قليل الصبر

فقد استمر في مراقبة المحطة ولم يهدأ باله إلا عند رؤيته السيد فوغ وباسبارتو ينزلان من القطار ، لكنه تفاجأ بوجود عودة وأخذ يتساءل في سره من هي؟ وكيف انضمت إليهما؟ ثم طلب من الشرطي القبض عليهم وأخذهم للمحاكمة .
قال القاضي لباسبارتو : إذا أنت تعترف بأن هذا الحذاء لك .

قال باسبارتو : أجل .

أضاف القاضي : وتعترف بأن ما قاله رجال الدين قد حصل وأنك كنت في المعبد منتعلاً حذاءك .
قال باسبارتو : أجل .

تابع القاضي كلامه : وفقاً للقانون الإنكليزي ، يجب احترام معتقدات الهند في مثل هذه الأمور . لقد ثبت بالدليل وباعترافك أنك مذنب وقد تصرفت بشكل غير لائق وغير محترم في معبد مالا برهيل في مومباي بتاريخ ٢٠ أكتوبر ، لذا قررت المحكمة سجنك مدة أربعة عشر يوماً إضافة لتغريمك بمبلغ ٣٠٠ جنيه .

قال باسبارتو : ماذا؟ ثلاثمئة جنيه!!

وأكمل القاضي كلامه : وأما بخصوص السيد فوغ فهو لم يثبت تورطه في الموضوع ، لكن يجب أن يعاقب لأنه سيّد هذا الرجل ، فسيتم سجنه لسبعة أيام وتغريمه بمبلغ مئة وخمسين جنيهاً .

شعر فيكس الذي كان يجلس في أحد زوايا المحكمة بالرضى والسعادة حيث أن مذكرة إلقاء القبض على السيد فوغ لن تستغرق أكثر من أسبوع ، أما باسبارتو فقد شعر بالذنب حيث سيتأخر بسببه وسيخسر الرهان . كل ذلك لأنه تصرف بحماقة عند الدخول إلى المعبد!

لم يظهر على السيد فوغ أي من أمارات خيبة الأمل أو الحزن وخاطب القاضي بكل هدوء قائلاً : أريد التقدم بطلب للكفالة .

قال القاضي : هذا من حقك . شعر فيكس بالقلق وعدم الارتياح ، لكن شعوره بالقلق تبدد بعد سماعه القاضي يقول : بما أنك أجنبي فقيمة الكفالة هي ألف جنيه لكل واحد منكما .

قال السيد فوغ : حسناً أنا موافق وأخرج المال من الحقيبة التي مع باسبارتو ثم قال له : هيا بنا . صرخ باسبارتو قائلاً : دعهم على الأقل يعيدون إلي حذائي!

وعندما أخذه قال : هذا الحذاء باهظ الثمن فسعر كل فردة منه ألف جنيه ومع ذلك فهو لا يناسب مقاس قدمي تماماً . وخرجوا من المحكمة ، مدّ السيد فوغ ذراعه تجاه عودة لتستند إليه وتبعهما باسبارتو الذي كانت حالته النفسية سيئة جداً ، أما فيكس فقد أصابه كدرٌ جديد بعدما رآه وشهده ،

وعاد لتتبع المسافرين الثلاثة ، فقد كان موقناً أن السيد فوغ لن يخاطر بخسارة ألفي جنيه ، وسيقضي أسبوعاً في السجن مما سيتيح لهذا المحقق أخيراً فرصة القبض عليه . استقل السيد فوغ عربةً متوجهاً إلى الميناء بعد هذا ، واستمر فيكس يعدو خلفهم إلى أن توقفت العربة .

كانت السفينة «رانجون» تقف على بعد نصف ميل من الميناء! إذاً فقد وصل السيد فوغ إليها قبل ساعة من موعد انطلاقها . استشاط فيكس غضباً عندما شاهد السيد يصعد الزورق المتجه إلى السفينة برفقة عودة وباسبارتو ، وأخذ يصرخ : لقد هرب! وذهبت معه الألفي جنيه! السارق ، اللص ، سأتبعه حتى آخر العالم ولكن إذا استمر بإنفاق المال بهذا الشكل فإنه سيأتي على المبلغ ، وكلما قلّ المبلغ قلّت معه المكافأة .

- ١٠ -

إلى سنغافورة

الرائجون سفينة بخارية كبيرة مصنوعة من الحديد ، يبلغ وزنها حوالي ٧٧٠ طناً ، أما سرعتها فتعادل سرعة السفينة مونغوليا غير أنها ليست مريحة مثلها ، وليس من ذلك بأس ، فالمسافة إلى هونغ كونغ لا تتعدى ٣٥٠٠ ميلاً أي أنها لن تستغرق في اجتيازها أكثر من أحد عشر أو اثني عشر يوماً على أكثر تقدير .

في هذه الأثناء ، أتاحت لعودة الفرصة لتتعرف على السيد فوغ ، وبدأت تخبره عن امتنانها الشديد لما قدمه لأجلها مذ قام بإنقاذها ، أما السيد فوغ فأخذ يصغي لها ببرود شديد دون أن يظهر أي مشاعر وإن كان يعاملها ببالغ الأدب والاحترام ، ويقدم لها كل ما يلزمها ويحرص على ألا ينقصها شيء موفراً لها كل سبل الراحة . كان يأتي بانتظام ليطمئن عليها ، ورغم أنه كان قليل الكلام إلا أنه كان يصغي إليها دوماً . وقد وجدت عودة صعوبة في فهم سلوكه غير أن باسبارتو ساعدها وقام بشرح بعض من طباع وعادات السيد فوغ وكما أخبرها عن سبب الرحلة حول العالم .

قصّت عودة حكايتها المؤثرة على السيد فوغ ، وأخبرته عن أعمامها الذين كانوا تجاراً أثرياء ، أحدهما كان يعمل في مومباي والآخر في جيجيه ، وهو الذي تأمل أن تجده في هونغ كونغ ، ثم سألتُهُ مترددةً إن كان سيوفر لها الحماية ، فقام السيد فوغ بتهدئتها وأكد لها بأن كل الأمور ستكون «منظمة» . كان يستخدم هذه الكلمة كثيراً . نظرتُ إليه مطولاً بعينيها الساحرتين الصافيتين اللتان تلتمع فيهما بحيرات الهيمالايا المقدسة ، إلا أن السيد فوغ كما كان يبدو ، لم يكن ينوي القفز في هذه البحيرة .

كان الطقس جميلاً والبحر هادئاً والرياح مواتية فأخذت السفينة البخارية تشق طريقها عبر خليج البنغال باتجاه سنغافورة . كان فيكس على ظهر السفينة حيث أنه تمكن من الصعود على متنها من دون أن يراه باسبارتو ، بعد أن ترك أمراً بأن يتم تحويل المذكرة في حال وصولها من كالكوتا إلى هونغ كونغ . لقد كان يعقد أملاً كبيراً على هونغ كونغ فهي آخر فرصة له ، حيث أن السفينة ستقضي وقتاً قصيراً في سنغافورة الأمر الذي لا يسمح له باتخاذ أي إجراء لذا يجب أن يتم إلقاء القبض على السارق في هونغ كونغ وإلا سيهرب اللص إلى الأبد خاصةً وأن هونغ كونغ هي آخر أرض إنكليزية ستطوؤها قدمه خلال الرحلة . قال في نفسه «وإذا لم تصل مذكرة اعتقاله ماذا سأفعل؟ حسناً سأقوم بتأخيرهِ ، لقد فشلتُ في

مومباي وفشلتُ مرة ثانية في كالكوٲا ، وإذا ما فشلتُ في هونغ كونغ فستتلطخ سمعتي بالتراب .»

كان يأمل بأن يستطيع إخفاء وجوده حتى نهاية الرحلة من دون إثارة شكوك باسبارتو الذي يعتقد أنه في مومباي . لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ، ففي اليوم السابق لوصوله إلى سنغافورة وجد فيكس نفسه وجهاً لوجه مع باسبارتو الذي خاطبه متفاجئاً : السيد فيكس ! ظننتُ أنك في مومباي ، هل تخطط للسفر حول العالم مثلنا؟

قال فيكس : آه ، لا لست كذلك . أعتقد أنني سأتوقف في هونغ كونغ على الأقل لبضعة أيام .
قال باسبارتو : لكن كيف لم أرك على متن السفينة من كالكوٲا إلى هنا؟

أجاب فيكس : إنه دوار البحر . لم أكن في حالة صحية جيدة أبداً . أخبرني كيف حال السيد فوغ؟
أجاب باسبارتو : إنه على خير ما يرام . ليس متأخراً عن جدول رحلته ولا حتى بيوم واحد . كما طرأتُ مستجدات لا تعرفها فقد انضمت فتاة إلى صحبتنا .

تظاهر فيكس بأنه لا يعرف شيئاً عن الأمر ، وأخبره باسبارتو بما خاضوه من مغامرات في مومباي ، وذكر له أن سيده قام بشراء الفيل بثمان باهظ قدره ألفي جنيه ، وأخبره أيضاً كيف نجحوا في إنقاذ عودة ، وغير ذلك من تفاصيل رحلتهم في كالكوٲا .

تظاهر فيكس بأنه لا يعرف شيئاً عن الجزء الأخير من القصة وسأله : هل ينوي سيدك أخذ الفتاة معه إلى أوروبا؟ أجاب باسبارتو : لا ، هو لا يفكر بذلك بل ستركها في رعاية عمها التاجر الثري الذي يعيش في هونغ كونغ . شعر فيكس بخيبة الأمل ، إذ شعر أن قضية عودة سوف تسبب له الكثير من المشاكل عند الوصول إلى هونغ كونغ . ثم التقى فيكس وباسبارتو عدة مرات على سطح السفينة ، لكن فيكس هذه المرة لم يَسْعَ للحصول على أي معلومات من الشاب الفرنسي ، فلم يسأل عن السيد فوغ سوى مرة أو اثنتين . أما هذا الأخير فقد قضى جلّ وقته في غرفته ، يتحدث إلى عودة أو يلعب الورق .

بدأ باسبارتو يبحث عن السبب الذي حدا بالسيد فيكس أن يبقى معهم . إن هذا لأمرٌ يستحق التأمل والتفكير وكيف لا ، وهذا هو الشخص ذاته الذي قابله في السويس أولاً ، وأبحر معه على متن الباخرة نفسها مونغوليا ، متوجهاً إلى مومباي حيث قال أنه سيبقى فترةً طويلة ، وها هو الآن يظهر على متن الباخرة رانجون إذ ينوي التوجه إلى هونغ كونغ أيضاً . يبدو حقاً وكأنه يتبع خطوات السيد فوغ من مكان إلى آخر . قال سبارتو محدثاً نفسه أنه يراهن بحذائه الثمين أن فيكس سيغادر هونغ كونغ عند مغادرتهم إياها ، أي في الوقت ذاته ، وربما على متن السفينة ذاتها . عجز باسبارتو رغم كل محاولاته عن معرفة

السبب الحقيقي الذي جعل السيد فيكس يتبع السيد فوغ ولم يخطر بباله أبداً أن السيد فوغ كان تحت المراقبة إذ يُشتبه بأنه قد يكون سارق البنك .

ولأننا نحن البشر بطبعنا نحب أن نجد تفسيراً لكل شيء ، فقد وجد باسبارتو تفسيراً بدا له مقنعاً ومعقولاً جداً اقشعر له بدنه . . . لقد شعر بأن أصدقاء السيد فوغ في نادي الإصلاح قاموا بإرسال السيد فيكس ليتأكدوا من القيام بالرحلة كما هو متفقٌ عليه . قال الرجل الفرنسي الطيب وهو يشعر بالفخر لذكائه ومهارته : لا بد وأن يكون الأمر كذلك ، لقد أرسلوه سرّاً للتأكد من أن السيد فوغ لا يتلاعب بهم ، ولا يخدعهم . . . يبدو أنهم لا يعرفون أن سيدي رجل صادق . حسناً يا أعضاء نادي الإصلاح لا بد أنكم ستأسفون على هذا التصرف كثيراً . وعندما شعر بالرضا واقتنع باكتشافه هذا ، قرر ألا يخبر سيده بشيء خشيّة أن يصيبه بعضٌ من ألم عندما يعلم بأن أصدقاءه لا يثقون به . عاهد نفسه بأن يجعل الأمر كله يبدو كفكاهة مضحكة ، فعندما يصادف السيد فيكس سوف سيتظاهر بأنه صدّق أنه وكيل في شركة البواخر .

- ١١ -

في الطريق إلى هونغ كونغ

بعد ظهر يوم الأربعاء الواقع في ٣٠ من أكتوبر، مرّت الباخرة رانجون عبر مضائق مالاکا التي تفصل جزيرة سومطرة عن الملايو وكانت الجبال والجزر الصغيرة المنحدرة بجوارها تحجب عن المسافرين جمال سومطرة. وصلت الرانجون إلى سنغافورة في تمام الرابعة فجراً مبكرة نصف يوم عن موعتها حيث توقفت لتتزوّد بالفحم. ودوّن السيد فوغ هذا الكسب في الزمن في مفكرته. بعد ذلك نزل إلى الشاطئ لكن هذه المرة بصحبة عودة التي كانت ترغب في القيام بجولة قصيرة. أما فيكس الذي لا يثق بأي تصرف يقوم به السيد فوغ فقد تبعهما خلصة. ضحك باسبارتو متعجباً من تصرف السيد فيكس وذهب لشراء الفاكهة من الجزيرة. وعلى الرغم من أن جزيرة سومطرة ليست كبيرة أو أخاذاً حيث أنها تخلو من أي جبال شاهقة، إلا أن لها سحراً وجمالاً خاصاً.

وبعد جولة في العربة استغرقت حوالي ساعتين، بين الغابات والتلال، عادت عودة مع رفيقها إلى المدينة حيث

توجد تشكيلة واسعة من البيوت غير المنتظمة المحاطة بحدائق ساحرة تعج بالنباتات والفاكهة الاستوائية . وفي تمام العاشرة ، عادا إلى السفينة مع المفتش الذي لم يغب بصره عنهما بطبيعة الحال . كان باسبارتو ينتظرهما على متن السفينة وقد اشترى الكثير من الفاكهة وأعطى منها لعودة التي شكرته . في تمام الساعة الحادية عشر ، أبحرت الرانجون مغادرة الميناء بعد أن تزودت بالفحم وبعد بضعة ساعات لم يعد بالإمكان رؤية أي من الجبال والغابات المنتشرة في مالاكّا .

تبعد سنغافورة مسافة ١٣٠٠ ميل عن هونغ كونغ الجزيرة البريطانية الصغيرة التي تقع على مشارف الساحل الصيني . يأمل السيد فوغ الوصول إلى هناك خلال ستة أيام كي يستقل بعدها الباخرة التي ستغادر في اليوم السادس من نوفمبر إلى يوكوهاما إحدى المدن الرئيسية في اليابان .

تغير الطقس الذي كان جميلاً خلال الرحلة في الربع الأخير للقمر فأصبح البحر هائجاً وهبت رياح عاتية ولكن ولحسن الحظ ، كانت هذه الرياح قادمةً من الجنوب الشرقي ، وهذا يعني أن اتجاهها يتناسب مع الاتجاه الجديد الذي سوف تتخذه السفينة . قام القبطان برفع الأشرعة وبمساعدة المحرك البخاري ، أخذت السفينة تشق طريقها بسرعة فائقة مارة بسواحل أنام وكوكين من أراضي الصين . كان من الضروري اتخاذ إجراءات السلامة في حالات الطقس السيء ، بسبب

وجود عيوب في تصميم الراجون ، مما تسبب بخسارة الوقت حيث لم تكن السفينة تسير بسرعة كافية لإرضاء باسبارتو الذي شعر بالغضب من الجميع ، من القبطان ، والمهندس وشركة السفن . قد يكون سبب غضبه هو تذكّره للغاز الذي يشتعل على حسابه في المنزل في سافيل رو . أما السيد فوغ فقد كان هادئاً ولم يبدُ عليه ، كما كان حاله دوماً ، أي من علامات القلق .

قال المفتش فيكس لباسبارتو مرة قبل الوصول إلى هونغ كونغ : إذاً باسبارتو أنت تتعجل للوصول إلى هونغ كونغ .
أجاب باسبارتو : أجل أنا في عجلة من أمري .
سأل فيكس : وهل تعتقد بأن السيد فوغ يتطلع للحاق بالباخرة المتجهة إلى يوكوهاما؟

قال باسبارتو : طبعاً هو متلهف لذلك .
قال فيكس : إذاً أنت تؤمن بهذه الرحلة حول العالم؟
قال باسبارتو : طبعاً وماذا عنك أيها السيد فيكس؟
أجابه : لا أنا لا أؤمن بها ولا أصدق أي شيء عنها!
رمقه باسبارتو وقال له : يا لك من شخص ماهر!
شعر فيكس بالقلق بعد سماعه هذه الإجابة وخالجه شعور بالخوف . هل تمكن هذا الرجل الفرنسي من معرفة حقيقته؟
وذهب باسبارتو إلى أبعد من ذلك في مرة أخرى حيث لم يتمكن من لجم لسانه فقال لفيكس : هل من المعقول

أن يكون حظنا عاثراً ونخسر صحبتك عند وصولنا إلى هونغ كونغ؟

شعر السيد فيكس بالإرتباك ولم يكن يدري ما عليه قوله :
حسناً لا أعرف ربما!

قال باسبارتو : سأكون سعيداً إذا ما تابعت الرحلة معنا وبما أنك تعمل لدى شركة البواخر فلا يمكنك أن تتركنا خلال الرحلة ، كنت تنوي في بداية الأمر أن تتوجه إلى مومباي لتمضي بعضاً من الوقت ، ولكن ها نحن نلتقي ثانية في الصين وأمريكا ليست ببعيدة ، واجتياز أمريكا إلى أوروبا لن يستغرق كثيراً من الوقت والجهد .

نظر فيكس إلى باسبارتو بتمعن ، وبدأت ترتسم على وجهه ابتسامة ، فضحك السيد فيكس معه وأخذ ما سمعه على أنه دعاية .

لكن باسبارتو لم يتوقف عند هذا الحد وسأله : هل تجني مالا كثيراً من عملك هذا؟

قال : نعم ولا ، فهناك الأوقات الحلوة والمرة في هذا النوع من العمل لكن عليك أن تعرف أنني أسافر بالجمان .
قال باسبارتو : هذا صحيح أنا متأكد من ذلك!

بعد هذا الحديث ، عاد فيكس إلى غرفته وغرق في التفكير : لا بد أن باسبارتو يعرف حقيقته ويدرك أنه مفتش .
لكن كيف حصل هذا؟ وهل أخبر السيد فوغ؟ أي دور كان

يلعب باسبارتو في عملية السرقة؟ هل هو أحد اللصوص؟ أم ماذا؟ وهل هذه نهاية اللعبة؟

استمر السيد فيكس بتقليب المسألة في رأسه فأحياناً يفكر بأنه خسر كل شيء وتارةً أخرى يحاول إقناع نفسه بأن السيد فوغ لا يعرف شيئاً عن حقيقته . قرر في نهاية الأمر أن يتحدث مع باسبارتو بصراحة . إذا لم يتمكن من القبض على فوغ في هونغ كونغ وتمكن هذا الأخير من مغادرتها فسيخبر باسبارتو بكل شيء فإما أن يكون الخادم أحد اللصوص وبالتالي فلن ينجح فيكس أو لا يكون وبالتالي سيكون من الأفضل لباسبارتو مساعدة فيكس في القبض على السيد فوغ . هكذا إذاً ستجري الأمور فيما يخص فيكس وباسبارتو ولكن ماذا عن السيد فوغ وعوده؟ لم يستطع باسبارتو فهم العلاقة بينهما . من الواضح أنها تشعر بامتنان شديد تجاه السيد الإنكليزي الذي بدوره بدا مستعداً لتقديم كل عونٍ لها ، ولكن هذا لا يعني بالطبع أنه واقعٌ في حبها .

لم يكن السيد فوغ قلقاً بشأن الرهان ، أما باسبارتو فقد أظهر قلقاً كبيراً ، حتى أنه في أحد الأيام ، وعندما كان يراقب الماكينة الكبيرة للسفينة صرخ قائلاً : لا يوجد بخار كافٍ إننا لا نتحرك . آه من هؤلاء الإنكليز لو كانت هذه السفينة أمريكية لكانت ماكينات البخار تتوهج ، علينا أن ننطلق بسرعة أكبر .

ساء الطقس كثيراً خلال الأيام الأخيرة من الرحلة إذ

كانت الرياح تهب بعنف وقسوة بالاتجاه المعاكس أي بالاتجاه الشمالي الغربي . كان جسد السفينة يترنح في البحر الهائج وأصيب المسافرون بالإعياء بسبب دوار البحر . اشتدت العاصفة في اليومين الثالث والرابع من نوفمبر وازداد اضطراب وهيجان البحر وتباطأت سرعة السفينة كثيراً التي لولا هبوب الرياح لتأخرت عن موعد وصولها عشرين ساعة على الأقل .

نظر السيد فوغ إلى البحر الهائج وفكر بأن أمواجه تضطرب فقط من أجل تأخيرته . غير أنه كان هادئاً كعادته على الرغم من الظروف المحيطة التي قد تتسبب بتأخره على الباخرة المتجهة إلى يوكوهاما وبالتالي خسارته للرهان . شعرت عودة بالذهول لرؤيته هادئاً كما كان عندما التقته للمرة الأولى . أما فيكس فقد سَعِدَ جداً لأن الباخرة رانجون ستتأخر ويبدو أن السيد فوغ سوف يضطر للبقاء في هونغ كونغ عدة أيام ، مما سيسمح لفيكس بالقبض عليه . وهكذا رحب فيكس بالسماء الرمادية والرياح العاتية على الرغم من أنها تجعله يعاني من دوار البحر ولكن ذلك ليس مهماً .

يمكن للمرء وبسهولة أن يتخيل ما اعتري باسبارتو من قلقٍ وخوف ، فحال الطقس لا تبشر بخير ، وأخذ يفكر كيف كان الحظ حليف السيد فوغ منذ بدايات الرحلة ، وكيف بدت السماء والأرض متعاونتين معه ، أترأه قد تخلى عنه الحظ؟ كان

يسأل الجميع ، القبطان والبحارة والضباط : إلى متى سيستمر هذا الطقس السيء؟

حتى تظن أنه سيدفع مبلغ العشرين ألف جنيه من ماله الخاص في حال خسارة الرهان . لم يتمكن من البقاء في غرفته فكان يساعد في التحكم بالأشعة متسلقاً من حبل إلى حبل مسلياً البحارة بحركاته البهلوانية .

خَفَّتْ حِدَّةُ العاصفة أخيراً وهدأ البحر في اليوم الخامس من نوفمبر ، وهكذا هدأت نفس باسبارتو . وبدأت الرياح تهب بالاتجاه الصحيح وعادت السفينة إلى سرعتها المعهودة . بيد أنه من المستحيل تعويض الوقت الذي ضاع خاصة وأن اليابسة لم تظهر حتى اليوم السادس! ولما كان السيد فوغ متأخراً عن خطته يوماً كاملاً فمن المستحيل أن يتمكن من الصعود على متن الباخرة التي ستتجه إلى يوكوهاما .

صعد مرشد الميناء منصة القبطان ليساعد في إيصال السفينة إلى ميناء هونغ كونغ ، وأراد باسبارتو أن يسأله عما إذا غادرت السفينة المتجهة إلى يوكوهاما إلا أنه فَضَّلَ التمسك ببصيص الأمل حتى اللحظة الأخيرة .

ثم حَدَّثَ فيكس عما راوده من شكوك ومخاوف فأجابه : وَلِمَ القلق؟ يستطيع سيدك أن يصعد على متن السفينة التالية المتوجهة إلى يوكوهاما .

غضب باسبارتو كثيراً من رد فيكس ، وكان متردداً في

الذهاب إلى المرشد ليسأله عن السفينة المتوجهة إلى يوكوهاما
أما السيد فوغ فقد اقترب منه في الحال وسأله فأجاب المرشد :
ستنطلق السفينة غداً .

قال السيد فوغ من دون أن يبدي أية ردة فعل : أه . حسناً!
كان وقع هذه الكلمات جميلاً على مسمع باسبارتو الذي
تمنى لو يعانق المرشد بينما تمنى فيكس أن يكسر عنق المرشد
على هذا الخبر .

سأل السيد فوغ المرشد : ما اسم الباخرة؟
أجاب المرشد : الكارناتيك .
فسأله السيد فوغ مستفسراً : ألم يكن موعد مغادرتها
البارحة؟

أجابه المرشد : هذا صحيح لكن كان لا بد من إصلاح
إحدى مراجلها وهذا أدى إلى تأخير انطلاقها حتى الغد .
قال السيد فوغ : حسناً شكراً .
و أخذ باسبارتو يد المرشد وأخذ يصافحه بحرارة قائلاً :
إنك لشخص رائع!

و أخيراً رَسَتْ الباخرة رانجون على الرصيف في تمام
الواحدة . كان السيد فوغ على أهبة الاستعداد إذ لولا العطل
الذي أصاب المراجل لكانت الكارناتيك قد أبحرت وكان
سيتحتم عليه أن ينتظر أسبوعاً كاملاً حتى وصول السفينة
التالية . لا يمكن للسفينة التي ستنتقل من يوكوهاما إلى سان

فرانسيسكو أن تبدأ رحلتها قبل وصول الكارناتيك وبذلك سيكون من السهل تعويض التأخير والذي بلغ قدره أربعاً وعشرين ساعة عند عبور السفينة للمحيط الهادئ . لولا هذا التأخير لكان السيد فوغ يسير وفقاً لجدوله الذي وضعه في لندن قبل خمس وثلاثين يوماً .

عيسى الكليب للنشر والتوزيع

- ١٢ -

مناورات فيكس في هونغ كونغ

ستغادر الكارناتيك هونغ كونغ في تمام الخامسة صباحاً من اليوم التالي وبذلك سيكون لدى السيد فوغ قرابة ست عشرة ساعة ليساعد عودة في الوصول إلى عمها . نزل كلٌ من السيد فوغ وباسبارتو وعودة من السفينة وبعد ذلك توجهوا إلى فندق كلوب ، ثم انطلق السيد فوغ وحيداً للبحث عن عم عودة التي سيتركها في عهده وطلب من باسبارتو البقاء معها في الفندق كي لا تشعر بالوحدة . وصل السيد فوغ إلى أحد بيوت الأعمال المشهورة في المدينة فقد كان واثقاً بأن الجميع هنا يعرف التاجر الهندي الثري جيجه ، لكنهم أخبروه بأن السيد جيجه قد قام بتصفية أعماله في الصين بعد أن كوّن ثروة هائلة ويعتقدون أنه توجه إلى هولندا .

رجع السيد فوغ إلى الفندق وطلب مقابلة عودة وأخبرها أن عمها لم يعد موجوداً في الصين وأنه في أغلب الظن قد توجه إلى هولندا . لم تقل شيئاً في بداية الأمر بعد ذلك استغرقت عدة دقائق قبل أن تسأل : والآن ماذا سأفعل يا سيد فوغ؟

أجابها : ببساطة تذهبن إلى أوروبا!

قالت له : ولكنني لا أريد أن أثقل عليك وأزعجك . . .
رد عليها قائلاً : أنت لا تتسببين بأيّ إزعاج على الإطلاق .

ثم نادى باسبارتو وطلب منه الذهاب إلى الكارناتيك وحجز ثلاث كابينات . ذهب باسبارتو والسعادة بادية عليه لأن الفتاة الهندية اللطيفة ستتابع الرحلة معهم .

أصبحت جزيرة هونغ كونغ تابعةً للإنكليز بعد أن عقدت اتفاقية نانكين بعد حرب عام ١٨٤٢ ، وقد نجح الإنكليز بما تميزوا به من دهاءٍ في تحويلها إلى مدينة هامة ومرفأٍ عظيم تنتشر فيها المستشفيات وأرصفت السفن والكاتدرائيات القديمة والمباني الحكومية إضافة إلى الشوارع المرصوفة ، وهذا ما جعل من هونغ كونغ أشبه بإحدى مدن كينت التي قفرت وبطريقة سحرية إلى الجهة المقابلة من العالم .

لم يكن باسبارتو مندهشاً لرؤية فيكس على رصيف الميناء . حيث كان يزرع الرصيف ذهاباً وإياباً ، وكانت علامات الخيبة بادية عليه ولا عجب في هذا إذ لم يصل تصريح إلقاء القبض على السيد فونغ إلى هونغ كونغ وهذا يعني أنه سيصل بعد فوات الأوان . ولن يتمكن من القبض عليه بعد خروجه من هونغ كونغ لأنه سيصبح في أرضٍ لا ينطبق عليها القانون الإنكليزي ، فإذا لم ينجح فيكس في جعل فونغ يمضي وقتاً أكثر في هونغ كونغ فسيهرب منه هذه المرة إلى الأبد .

قال باسبارتو في سرّه «يبدو أن الأمور ليست على ما يرام مع السادة في نادي الإصلاح.» ثم توجه بالكلام إلى فيكس قائلاً: حسناً يا سيد فيكس هل قررت مرافقتنا إلى أميركا؟ أجابه فيكس والكلام يخرج من بين أسنانه: أجل . قال باسبارتو مبتسماً: كنت أعرف هذا . أنا متأكد من أنك لا تستطيع مفارقتنا . هيا تعال معي لتحجز كابينتك . ثم ذهبا إلى مكتب شركة البواخر وأخذاً أربع بطاقات حيث أخبرهما الموظف المسؤول أن أعمال الصيانة والإصلاح قد انتهت على متن الكارناتيك وبذلك فستبحر السفينة في تمام الثامنة من هذا المساء بدلاً من صباح الغد . قال باسبارتو: عظيم! هذا يناسب سيدي تماماً سأذهب لأزفّ له هذا الخبر .

اتخذ فيكس في هذه اللحظة قراره ، سيخبر باسبارتو بكل شيء فهذه هي الطريقة الوحيدة التي ستساعده في جعل فيكس يبقى في هونغ كونغ لبضعة أيام ، وعند مغادرة مكتب شركة البواخر سأله: هل لديك متسع من الوقت؟ . . . دعنا نذهب لنحتسي شيئاً .

وافق باسبارتو الذي لم يكن يحمل معه المال وفكر بأنه سيقوم بدعوة فيكس المرة القادمة ، دخلا بعد ذلك إلى حانة تقع على رصيف الميناء ، يوجد عند مدخلها قاعة كبيرة مزخرفة بشكل جميل وفي نهايتها يقبع مكانٌ يبدو مخصصاً للنوم إذ

يرقد فيه أناس كثير يغطون في نوم عميق . جلس الرجلان على طاولة وطلب فيكس زجاجتي مشروب . تحدثا عن الكثير من الأمور وعن الرحلة وأخبر فيكس باسبارتو أنه سيتابع الرحلة معهم على متن الكارناتيك وهنا تذكر باسبارتو أن عليه الذهاب لينخر سيدة عن تغير موعد الرحلة .

أمسك به فيكس من ذراعه وقال له : عليّ أن أكلمك بأمر مهم .

قال باسبارتو : مهم ! يستطيع الانتظار حتى الغد فأنا على عجلة من أمري .

قال فيكس : اجلس . الأمر يتعلق بسيدك .
عندها عاد الشاب الفرنسي إلى كرسيه وسأله : تفضل
ماذا تريد أن تخبرني ؟
وضع فيكس يده على ذراع رفيقه وقال له : هل عرفت من أكون ؟

قال باسبارتو : طبعاً .
قال فيكس : حسناً إذا سأخبرك بكل شيء .
قال باسبارتو : أنا أعرف كل شيء ! لكن حسناً تكلم قل ما عندك ، قبل ذلك دعني أخبرك شيئاً ، إن هؤلاء السادة ينفقون أموالهم سدى .

قال فيكس : سدى ! يبدو أنك لا تعرف قيمة المبلغ
قال باسبارتو : بلى إنني أعرف .. عشرون ألف جنيه

قال فيكس : لا بل خمسون ألفاً .
قال باسبارتو وهو ينهض مجدداً : وهذا سبب آخر يجعلني
أسرع لإخبار سيدي دون أن أضيع لحظة واحدة .
قال فيكس وهو يمسك بذراع باسبارتو ويجبره على
الجلوس : خمس وخمسون ألفاً .
طلب فيكس زجاجة مشروب أخرى وقال لباسبارتو :
ساعدني! إذا ما نجحت سأحصل على مكافأة وسأعطيك
نصفها ألف جنيه .

صرخ باسبارتو وجحظت عيناه : أساعدك؟
قال فيكس : نعم ساعدني على إبقاء السيد فوغ في هونغ
كونغ لبضعة أيام .
صرخ باسبارتو : ألا يكفي أنكم تتبعون سيدي وتشكون
فيه والآن تريدون وضع العراقيل في طريقه! إنني أشعر بالخزي
من تصرفاتكم .

قال فيكس : ماذا تقصد؟ عما تتكلم؟
قال باسبارتو : أنا أعني ما أقول . هذا خداع . إنه لأمر غير
مقبول ، إذ يبدو وكأنك تريد أخذ المال من جيب سيدي .
قال فيكس : هذا ما نرجوه بالضبط!

فصاح باسبارتو الذي كان يشرب الكأس تلو الأخرى من
الزجاجة الجديدة دون أن يعي ماذا يفعل : هذه خدعة وضيعة
وماكرة . ويدعون أنفسهم بالسادة هه!

شعر فيكس بأنه لا يفهم أي شيء .
صرخ باسبارتو : اسمعوني أيها السادة يا رجال نادي
الإصلاح ؛ سيدي رجل شريف وعندما يراهن على شيء فهو
يتوقع أن يكسب رهانه بشرف .

قال فيكس : توقف قليلاً ، من تظنني؟
قال باسبارتو : أنت! أنت مُرسلٌ من قبل نادي الإصلاح
لمراقبة سيدي ، لقد عرفت ذلك منذ مدة لكنني كنت حريصاً
وحدراً ولم أخبر سيدي بأي شيء .

قال فيكس : إذاً فهو لا يعرف أي شيء؟
قال باسبارتو وهو يشرب كأساً جديدة : لا
أخذ المفتش فيكس يفكر ماذا عليه أن يفعل؟ قد جعل
سوء الفهم الذي وقع فيه باسبارتو مهمته أكثر صعوبة وقال بينه
وبين نفسه : حسناً بما أنه لا دخل له بالسرقة فمن الممكن أن
يساعدني .

كان السيد فيكس عازماً على إلقاء القبض على فوغ في
هونغ كونغ ، فقال لباسبارتو : اسمعني وأصغ إليّ جيداً ، أنا
لستُ مرسلًا من قبل أعضاء نادي الإصلاح . أنا مفتش سريّ
مرسل من قبل شرطة لندن .

قال باسبارتو : ماذا؟ أنت مفتش سري؟
قال فيكس : نعم وسأثبت لك . هيا انظر إلى أوراقتي .
وأخرج أوراقاً من جيبه وأعطاهها له . قرأ باسبارتو الأوراق

بتمعنّ ، وعقدت الدهشة لسانه إذ كانت الأوراق مُوقَّعة من رئيس شرطة لندن .

قال فيكس : هذا الرهان بخصوص الذهاب حول العالم في ثمانين يوماً ، ما هو إلا خدعة جعلتك أنت وأعضاء نادي الإصلاح تساعدونه على الهرب من الشرطة .

قال باسبارتو : ولماذا سيهرب من الشرطة . ماذا اقترف؟
قال المفتش : أصغ إلي جيداً . لقد سُرق من بنك إنكلترا مبلغ خمس وخمسين ألف جنيه في الثامن والعشرين من شهر سبتمبر الماضي وجاءتنا أوصاف السارق ؛ انظر إليها إنها مطابقة لأوصاف سيدك تماماً!!

قال باسبارتو وهو يضرب الطاولة بقبضته : لا هذا مستحيل ، سيدي هو أشرف رجل في العالم .

رد فيكس : وكيف يمكنك تأكيد ذلك؟ لقد كنت بالكاد تعرفه ، أضف إلى ذلك أنك أصبحت خادمه في اليوم الذي غادر فيه لندن على عَجَلٍ ومن دون أمتعة! وتقول لي أنه أشرف الناس؟!!!

أجاب الفرنسي المسكين : نعم سيدي رجل شريف .
قال المفتش : هل تعلم بأنه سيُقبَضُ عليك بتهمة مساعدته .

أمسك باسبارتو رأسه بكلتي يديه وقد تغيرت ملامح وجهه ولم يجرؤ على النظر في وجه المفتش . أخذ يفكر بالسيد

فوغ الرجل الكريم الشجاع الذي أنقذ عودة . هل من الممكن أن يكون لصاً؟! لقد كانت الشبهات ضده لكن باسبارتو رفض أن يصدق فيكس وأن يظن سوءاً بسيدّه .

شرب باسبارتو كثيراً حتى أصبح التفكير صعباً عليه ثم قال للمفتش : حسناً ماذا تريد مني؟

أجاب فيكس : ها نحن ذا . اسمعني لقد تتبععت السيد فوغ إلى هنا ، لكنني لم أستلم بعد التصريح لألقي القبض عليه ، لذلك ستساعدني على إبقائه في هونغ كونغ لعدة أيام . قال باسبارتو : أنا! لكن أنا ...

تابع فيكس : وسأقتسم معك مكافأة الألفي جنيه التي سيمنحها بنك إنكلترا .

قال باسبارتو وهو يحاول النهوض ، بعد أن وقع على الكرسي إذ شعر بانهياء جسده وذهنه : اسمعني يا سيد فيكس حتى ... حتى لو كان ما تقوله صحيحاً لو كان لصاً وهو ليس ... هو ليس كذلك فأنا في خدمته . لقد خبرته كرجل طيب وشجاع ... ماذا تريد؟ تريدني أن أساعدك في القبض عليه!! لا وألف لا ، فأنا لن أخونه ولا حتى مقابل كل ذهب الأرض . أنا لست من هذا النوع من الرجال الذي يقوم بهذا الصنف من الأعمال .

قال فيكس : إذاً أنت ترفض مساعدتي؟

قال باسبارتو : أجل .

قال فيكس : حسناً انسَ كل ما قلته لك واشرب هذه .
وقام بملء كأس جديدة من الزجاجاة وجعل الفرنسي
يشربها . هذا كان كل ما يحتاج إليه للتخلص من باسبارتو
الذي سقط عن كرسيه وتمدد بلا حراك .
قال فيكس لنفسه «عظيم! بهذا لن يعرف السيد فوخ بأمر
تغير موعد انطلاق الكارناتيك وإذا غادر فسيكون من دون هذا
الفرنسي المزعج» ، ثم دفع الفاتورة وذهب .

- ١٣ -

باسبارتو خارج الرحلة

أثناء تواجد باسبارتو وفيكس في الحانة ، كان السيد فوغ وعودة يتجولان في المدينة ، وكان فوغ يفكر بكل ما ستحتاجه عودة بعد موافقتها على الذهاب معه إلى أوروبا ، حيث يستطيع رجل إنكليزي مثله السفر حول العالم من دون أمتعة لكن الأمر مختلف بالنسبة لهذه الصبية الجميلة ، لذلك كان من الضروري أن يقوم بشراء الثياب والأشياء الضرورية التي ستحتاجها في الرحلة . كان فوغ هادئاً كعادته وعندما شكرت عودة كرمه وصبره أجابها بأن هذا ما هو إلا جزء من خطته وطلب منها ألا تتكلم في هذا الأمر مجدداً . رجعا إلى الفندق بعد أن أنهيا جولة التسوق وتناولوا عشاءاً رائعاً ثم ذهبت عودة التي أرهقتها جولة التسوق إلى غرفتها لترتاح قليلاً وأمضى السيد فوغ الليل وهو يقرأ الصحف الإنكليزية .

أصاب السيد فوغ الذهول عندما لحظ أن خادمه لم يعد رغم أن موعد نومه قد أزف ، ولأنه كان يعلم بأن الباخرة ستنتقل في صباح اليوم التالي إلى يوكوهاما فلم يهتم كثيراً

للأمر ، لكن باسبارتو لم يرد صباحاً على جرس سيده رغم أنه طرده عدة مرات . لم يكن لأحد أن يتوقع ما دار في خلد السيد فوغ عندما أخبروه بأن باسبارتو لم يعد إلى الفندق مساءً . رغم كل ذلك أخذ حقيبة يده ، ونادى عودة وطلب عربة لتقلهما إلى الميناء . كان هذا في تمام الثامنة صباحاً ومن المفروض أن تنطلق الكارناتيك في التاسعة والنصف . صعد السيد فوغ وعودة إلى العربة وبعد نصف ساعة ، وصلا إلى رصيف الميناء حيث علم السيد فوغ أن السفينة قد غادرت في الليلة الماضية . لقد كان فوغ يتوقع رؤية خادمه ينتظره بجوار السفينة ، ولكن ذلك لم يحدث ، ورغم وقع مصاب كهذا فإن أياً من علامات خيبة الأمل لم تبدو على محياه ، وعندما نظرت إليه عودة بحزن وقلق قال لها : هذا مجرد حادث . هذا لا شيء .

كان هناك شخص يراقب كلاً من عودة والسيد فوغ في هذه الأثناء . إنه المفتش فيكس الذي اقترب منهما وألقى عليهما التحية وقال للسيد فوغ : صباح الخير ، أأنت أحد رفاقي الذي كانوا مسافرين على متن الراحون البارحة ؟ أجابه فوغ ببرود : نعم ، لكنني لم أتشرف بمعرفتك من قبل .

قال فيكس : لقد توقعت أن أجد خادمك . . .

سألت عودة : هل تعرف أين هو ؟

رد فيكس : ماذا ؟! ألم يحضر معكما ؟!

أجابته : لا لم نره منذ البارحة لعله أبحر على متن الكارناتيك

قال فيكس : من دونكما؟ هذا مستحيل! لكن اعذرني على تطفلي هل كنتما ستسافران على متن الكارناتيك؟
أجابته : نعم ولقد أُصبتُ بنخبة أمل عندما لم أجدها .
قال : وأنا كذلك . لقد غادرت السفينة البارحة مساءً قبل موعدها باثنتي عشرة ساعة بعد إتمام الإصلاحات من دون إخبار أحد وسيكون علينا انتظار أسبوع حتى وصول السفينة التالية .

شعر فيكس بالسعادة الغامرة وهو يلفظ كلمة أسبوع ، فهو وقتٌ كافٍ لاستلام التصريح . لقد ابتسم الحظ للمفتش ، لكن كلمات فوغ التالية أدخلت الرعب إلى قلبه حيث قال : لكن هناك سفنٌ أخرى غير الكارناتيك في الميناء .

مدّ السيد فوغ ذراعه لتستند عودة عليها ، وانطلقا للبحث عن سفينة ثانية وتبعهما فيكس ، لكن يبدو أن الحظ كان يعاند السيد فوغ الذي قام بالتنقل بين أرجاء رصيف الميناء لأكثر من ثلاث ساعات دون جدوى . لقد كان مستعداً لاستئجار سفينة تأخذهما إلى يوكوهاما غير أنه لم يجد أية واحدة . وبذلك عاد الأمل مجدداً إلى فيكس .

لم يستسلم السيد فوغ لليأس ، وقرر أنه سينفذ خطته ولو اضطره الأمر للذهاب إلى ماكارو للعثور على مركب . فجأة جاء

إليه بحار وسأله : المذرة ، هل تبحث عن مركب يا سيدي؟
قال فوغ : وهل لديك مركب جاهز للإبحار؟
قال البحار : نعم مركب صغير رقم ٤٣ وهو أفضل مركب
في الميناء .

سأل فوغ : حسناً هل هو سريع؟
أجابه البحار : نعم يقطع ما بين ثمانية وتسعة أميال في
الساعة . هل تود رؤيته؟ أتريد الذهاب في نزهة؟
قال فوغ : نعم أريد أن أراه لأنني أريد الذهاب إلى
يوكوهاما .

جحظت عينا البحار وقال له : لا بد من أنك تمزح يا
سيدي!

قال السيد فوغ : لا ، لم أستطع اللحاق بالكارناتيك ويجب
أن أكون في يوكوهاما في الرابع عشر من هذا الشهر كي أصعد
على متن السفينة المتجهة إلى سان فرانسيسكو .
قال الربان : أنا أسف لكن هذا ضرب من المستحيل .
قال السيد فوغ : اسمعني جيداً إليك عرضي ، سأعطيك
مئة جنيه في اليوم ، إضافة إلى مئتي جنيه إذا ما وصلنا في
الوقت المناسب .

قال الربان : هل أنت جاد؟
أجابه السيد فوغ : طبعاً .
نظر البحار إلى البحر محتاراً . وأخذ يقلب هذا العرض

ذات اليمين وذات الشمال فهو لا يريد خسارة هذا المبلغ الكبير من المال ولا يريد المخاطرة بالقيام برحلة خطيرة وقطع مسافة كبيرة بمركب صغير . كان فيكس يراقب الواضع بقلق شديد . نظر السيد فوغ إلى عودة وسألها : هل ستخافين؟ أجابته : لن أخاف برفقتك .

سأل السيد فوغ البحّار : ماذا قلت؟ فقال : لا أستطيع المخاطرة بحياتي وحياتكم وحياء طاقم السفينة والقيام برحلة غاية في الخطورة في هذا الوقت من السنة بمركب صغير إضافة إلى أن المسافة كبيرة . حوالي ١٦٥٠ ميل إلى يوكوهاما!

أجابه السيد فوغ : ١٦٠٠ . قال : هذا لا يغير من الأمر شيئاً . وهنا تنفس فيكس الصعداء . أضاف البحّار : لكن لدي طريقة للخروج من هذا المأزق . قال السيد فوغ : وما هي؟

أجاب : يمكننا أن نذهب إلى ناغازاكي في جنوب اليابان أو إلى شنغهاي التي تبعد ثمانمائة ميل عن هونغ كونغ . قال السيد فوغ : لكنني أريد اللحاق بالسفينة المتوجهة إلى أميركا في يوكوهاما وليس إلى شنغهاي أو ناغازاكي .

قال البحّار : لمَ لا؟ فالسفينة المتجهة إلى سان فرانسيسكو لا تنطلق من يوكوهاما ، بل تتوقف هناك وتتوقف أيضاً في

ناغازاكي ، لكنها تنطلق من شنغهاي .

قال السيد فوغ : هل أنت واثق من كلامك؟

أجاب : كل الثقة .

سأل السيد فوغ : ومتى تنطلق السفينة؟

أجاب : في الحادي عشر من هذا الشهر في السابعة مساءً . لدينا أربعة أيام وبسرعة ثمانية أميال في الساعة ومع الرياح الطيبة ستمكن من قطع مسافة الثماني مئة ميل التي تفصلنا عن شنغهاي .

سأل فوغ : ومتى نستطيع الانطلاق؟

قال : خلال ساعة ، لأنني أحتاج إلى الوقت للحصول على الطعام الكافي لي ولباقي أفراد الطاقم .

قال السيد فوغ : حسناً اتفقنا ، هل أنت صاحب المركب؟

أجاب البحار : نعم واسمي جون بنسبي وأنا صاحب التانكاير .

قال السيد فوغ : هل تريد دفعة من المبلغ؟

أجاب الريان : نعم لو سمحت .

قال فوغ : إليك مائتي جنيه . ثم نظر إلى فيكس وسأله :

هل تود الذهاب معنا؟

أجاب : نعم ، كنت سأطلب منك ذلك .

قال له : حسناً سنكون على ظهر المركب بعد نصف

ساعة .

قالت عودة : ماذا بشأن باسبارتو المسكين؟

قال السيد فوغ : لا تقلقي ، سأفعل ما بوسعي لمساعدته .
بدا فيكس غاضباً جداً وأخذ يستعد للصعود على متن
المركب ، وفي هذه الأثناء ذهب السيد فوغ برفقة عودة إلى مركز
الشرطة في الميناء وأعطاهم وصفاً دقيقاً لباسبارتو وترك له مبلغاً
من المال يكفيه للعودة إلى أوروبا .

كان المركب ٤٣ على أهبة الاستعداد للبدء برحلته في تمام
الساعة الثالثة . يوجد على متن التانكادير إضافة لجون بنسبي
أربعة بحارة أقوياء . كان بنسبي رجلاً في الخامسة والأربعين
من عمره تقريباً ذو عيون حادة وجسم نشيط ، ويوحى مظهره
بالثقة .

صعد السيد فوغ وعودة إلى ظهر المركب وكان فيكس قد
سبقهما ، ثم نزلا إلى كابينة صغيرة لكنها نظيفة .
قال السيد فوغ لفيكس الذي أحنى ظهره من دون أن
يتكلم : أعتذر لأنني لم أستطع تقديم أفضل من هذا .
لم يكن فيكس سعيداً بقبول عرض السيد فوغ الكريم وقال
في سرّة : إنه لص مؤدب! ومع ذلك فهو لص .

كان الجميع قد صعد إلى سطح المركب عندما ارتفعت
الأشرعة في تمام الثالثة وعشر دقائق وكان السيد فوغ وعودة
ينظران إلى الرصيف للمرة الأخيرة على أمل رؤية باسبارتو .
شعر فيكس ببعض الخوف إذ خشي من ظهور الشاب

الفرنسي ، والذي عامله معاملة سيئة وعندئذ سيكون عليه أن يقدم الكثير من التفسيرات ، لكن الشاب الفرنسي لم يظهر . لا بد من أنه لا يزال يعاني من آثار الشرب البارحة . وبعد ذلك فكَّ جون بنسبي الحبال وسحبها وأخذت التانكادير تمخر عباب البحر بسرعة كبيرة باتجاه الشمال .

عيسى الكليب للنشر والتوزيع

- ١٤ -

على متن التانكادير

لم تكن رحلة الثمانئة ميل هذه خاليةً من المخاطر فبحار الصين هائجةً بطبيعتها ، خاصة في هذا الوقت من السنة . شَقَّتْ التانكادير طريقها عبر ما يسمى بعنق الزجاجة وعند وصولها إلى البحر المفتوح ، قال السيد فوغ للرُّبَّان جون بنسبي :
إني لأعجز أن أصف لك مدى أهمية وصولنا في الوقت المناسب .

أجابه الربان : أرجو أن تثق بي ، لدينا الكثير من الأشرطة التي ستمكننا من الاستفادة من الريح .

قال السيد فوغ : هذا اختصاصك وأنا ليس لدي دخل به وإنني أضع ثقتي بك .

كان فيلياس فوغ يقف على سطح المركب يراقب الأمواج الهائجة دون خوف ، وبالقرب منه جلست عودة تراقب المياه الداكنة ، وبدا أن هناك ما يشغل بالها ، لا بدّ وأنها كانت تفكر بمستقبلها . كانت الأشرطة البيضاء ترفرف فوقها وكأنها أجنحة عملاقة فبدا المركب الذي يشق طريقه في البحر كالطير في السماء .

أسدل الليل ستاره ، وكان القمر هلالاً وبدأ أن ضوءه سيختفي لا محالة فالتحجب الداكنة القادمة من الشرق أخذت تغطي السماء رويداً رويداً حتى بدأت تضيق الحصار على الهلال الصغير فغطته تماماً في نهاية الأمر .

كان فيكس يقف في مقدمة المركب بعيداً عن الآخرين ، فهو يعرف طبع السيد فوغ الذي لا يحب الكلام كثيراً ، كما أنه لم يشأ الحديث مع الرجل الذي عامله بلطف . لقد كان يفكر بالمستقبل وكان واثقاً أن فوغ سيستقل السفينة المتوجهة إلى سان فرانسيسكو . يا لها من خطة ذكية!! أي شخص مكانه كان سيذهب إلى أمريكا مباشرة لكنه قرر أن يقطع ثلاثة أرباع العالم ليصل إلى هناك ويهرب من الشرطة وينفق المال وهو مرتاح البال . تساءل فيكس ما الذي سيفعله بعد الوصول إلى أمريكا؟ هل سيدعه يفلت منه؟ لا وألف لا سيلقي القبض عليه . هذا واجبه وسيقوم به على أكمل وجه . لم يكن مهتماً بما أصاب باسبارتو فليس يهمه سوى أن يبقى بعيداً . بالمقابل كان فوغ يفكر بما حلّ بباسبارتو الذي اختفى بشكل عجيب . ربما تمكن من الصعود على متن الكارناتيك وأملت عودة بذلك أيضاً . شعرت بأسف عميق لفقدان هذا الخادم المخلص الذي تدين له بحياتها .

اشتدت قوة الرياح في العاشرة . وفي منتصف الليل ، ذهب السيد فوغ برفقة عودة إلى أسفل السفينة أين تقبع

الكبائن حيث وجدوا فيكس هناك نائماً ، أما البحارة فلم يبرحوا سطح المركب واستمروا في القيام بعملهم .

كانت السفينة قد قطعت أكثر من مئة ميل في اليوم الثاني أي الثامن من نوفمبر ، وإذا ما استمر الحال على هذا المنوال فسيكون الأمل بالوصول إلى شنغهاي في وقتٍ معقول كبيراً . لم تبرح السفينة تسير بمحاذاة الساحل ، ولم يصب السيد فوغ أو عودة بدوار البحر بل استمتعوا بتناول وجبة شهية ، وقبل فيكس دعوتهم لمشاركة الطعام ، كان عليه أن يوافق غير أنه لم يحب ذلك فلقد تكفل فوغ بتكاليف الرحلة فهل سيدعه يدفع مصاريف الوجبات أيضاً؟ لم يكن يستسيغ ذلك إلا أنه قبل دعوتهما . بعد الطعام طلب فيكس من فوغ أن يكلمه جانباً وقال له : سيدي . . . وقد أزعجته هذه الكلمة إذ لم يكن يحب أن يقول سيدي للصّ الذي سيقوم بالقبض عليه _ سيدي لقد كنت كريماً للغاية معي وقمت بتأمين رحلتي على متن هذا المركب وعلى الرغم من أنني لست ثرياً لكنني أرجو أن تدعني أدفع . . .

قاطع فوغ : لن نتكلم عن هذا الأمر يا فيكس . اتفقنا؟

قال فيكس : لكنني أصر .

أجاب السيد فوغ : لا . فأنا أعتبر هذا جزءاً من تكاليف

رحلتي .

انحنى المفتش فيكس دون أن يقول أي كلمة .

أبحرت السفينة دونما مشاكل ، وكانت آمال جون بنسبي عالية ، وأخبر السيد فوغ أكثر من مرة بأنهم سيصلون إلى شنغهاي في الموعد المحدد . كان فوغ يجيبه بأن هذا الذي يتوقعه منه ، وكان البحارة يعملون بجهد حيث كانوا يتطلعون إلى المكافأة السخية التي سيحصلون عليها .

في ذلك المساء كانت التانكادير قد ابتعدت عن هونغ كونغ حوالي مئتي ميل ، وعلى هذا كان يحق للسيد فوغ أن يخالجه بعض التفاؤل إذ يبدو أنه سيصل إلى يوكوهاما في وقتٍ مبكر . وفي الصباح الباكر ، كانت التانكادير تبحر بين جزيرة فورموزا وساحل الصين . لقد كان البحر هائجاً جداً في هذه المنطقة وكانت الأمواج شديدة العنف لدرجة جعلت المسافرين يجدون صعوبة في الوقوف . وعندما أشرقت الشمس عادت الرياح لتهب بقوة أكبر وغطت السماء سحباً سوداء . نظر الربان إلى السماء الملبدة بالغيوم بقلق وقال للسيد بصوت منخفض : هل يمكنني أن أتكلم معك بصراحة أيها السيد فوغ؟ أجاب فوغ : بالطبع تكلم ولا تخفي عني شيئاً .

قال جون بنسبي : ستهب علينا عاصفة .

قال السيد فوغ : من أي جهة؟

قال الربان : من الجنوب .

أجاب فوغ : حسناً هذا أمر جيد لأنها ستدفعنا بالاتجاه المطلوب .

قال جون بنسبي : هذا رأيك أنت وأما أنا فلا يمكنني أن أتكهّن بأي شيء .

لقد كانت شكوك جون بنسبي في مكانها فعواصف بحر الصين قاسية في هذا الوقت من السنة . أنزلت جميع الأشربة ما عدا واحدا وتم إغلاق جميع الأبواب والفتحات كي لا يتسرب منها الماء ، بعد ذلك طلب جون بنسبي من المسافرين النزول إلى الأسفل حيث الحجرات ، غير أنهم فضلوا البقاء على السطح بدلاً من الحجرات معدومة الهواء .

بدأت العاصفة في تمام الثامنة صباحاً وانهمر المطر كالسيل ، ورغم أن التانكادير لم تكن تعتمد في سيرها الآن سوى على شراع واحد فقد بدت وكأنها تطير فوق سطح الماء . بعد فترة ، غيرت الريح اتجاهها وبدأت تهب من الشمال الغربي وأخذت الأمواج تلطم جوانب السفينة فجعلتها تترنح بشكل عنيف . ولحسن الحظ ، كانت التانكادير محكمة الصنع ولما جاء الليل ازدادت العاصفة عنفاً مما جعل جون بنسبي وطاقمه يشعرون بقلق شديد واتجه الربان نحو السيد فوغ وقال له : أعتقد يا سيدي أنه علينا التوجه إلى أحد الموانئ القريبة . أجابه : أعتقد أنه يجدر بنا القيام بذلك .

سأله الربان : ولكن أي واحد؟

قال السيد فوغ : أنا لا أعرف إلا واحداً اسمه شنغهاي .

فهم الربان معنى هذه الإجابة وقال له : نعم أنت محق يا

سيدي علينا الذهاب إلى شنغهاي .

وهكذا حافظت التانكادير على اتجاهها نحو الشمال ولكن ببطء شديد . لقد كانت ليلةً مرعبة! إنها لمعجزة كيف لم تغرق هذه السفينة الصغيرة في البحر! كان السيد فوغ يندفع المرة تلو الأخرى نحو عودة ليحميها من الأمواج الهائلة . ظهر ضوء النهار أخيراً ، واستمرت العاصفة الشديدة ولكن ولحسن الحظ غيرت الريح اتجاهها إلى الجنوب الشرقي فعادت السفينة لتبحر بسرعة مجدداً . أحياناً كان يلوح شاطئ الصين في الأفق خالياً من أي مراكب ، لقد كانت التانكادير وحيدة في البحر إذاً هدأت العاصفة بعض الشيء في منتصف النهار وعند غروب الشمس ، أصبحت الريح أقل عنفاً مما سمح للمسافرين بتناول بعض الطعام والحصول على قسط من الراحة . أما في الليل ، عادت الأجواء إلى الهدوء والاعتدال فرفع الربان بعضاً من الأشرعة وتحركت السفينة بسرعة عظيمة ، وعندما حلّ الصباح أخبر جون بنسبي الجميع أن المركب لا يبعد عن شنغهاي سوى مئة ميل .

لم يبقَ أمامهم سوى يوم واحد ليقطعوا ما تبقى من مسافة والتي تقدر بمئة ميل ، فإذا أرادوا اللحاق بالباخرة المتجهة إلى يوكوهاما سوف يتوجب عليهم أن يصلوا إلى شنغهاي هذا المساء . لولا خسارتهم للكثير من الوقت بفعل العاصفة ، لما تبقى أمامهم من مسافة تزيد عن ثلاثين ميلاً . أخذت الريح تهب بقوة أقل ، لكن ومن حسن الحظ المسافرين ، بات البحر

أكثر هدوءاً فارتفعت جميع الأشرعة . عند منتصف النهار ، أصبحت التانكادير على بعد أقل من خمسة وأربعين ميلاً عن شنغهاي ، ولم يبق أمامهم من الوقت سوى ست ساعات للحاق بالباخرة . شعر الجميع بمن فيهم السيد فوغ بالقلق ، فقد خشي ألا يتمكنوا من اللحاق بالسفينة بسبب ضيق الوقت إضافة لأنه يجب المحافظة على سرعة تسع أميال في الساعة ، والرياح أخذت تغدو أضعف وأضعف ومع ذلك فإن هذا المركب خفيفة وسريع ولقد كانت أشرعتها تلتقط أي نسمة خفيفة لتندفع نحو الأمام . وفي تمام السادسة وجد بنسبي نفسه على بعد عشرة أميال عن نهر شنغهاي والمدينة نفسها تبعد عن النهر مسافة اثنتي عشر ميلاً . وعند الساعة السابعة ، أصبحوا على بعد ثلاثة أميال من المدينة وهربت من فم الربان كلمة لعينة عندما تأكد من ضياع مكافأة المئتي جنيه ، فنظر إلى السيد فوغ الذي كان هادئاً على الرغم من أن ثروته كانت على المحك . وفي هذه اللحظة ظهرت على مرمى البصر مدخنة سوداء طويلة . إنها السفينة الأميركية تبحر من شنغهاي في موعدها المعتاد . قال السيد فوغ : بلغهم إشارتك . كان هناك مدفع نحاسي على سطح السفينة وهو يستخدم لإعطاء إشارات للسفن في حالات الضباب الكثيف وللإستغاثة . ملأ الربان جون المدفع بالبارود وقال له السيد فوغ : أطلق .

وملاً صوت زئير المدفع الهواء .

- ١٥ -

باسبارتو على متن الكارناتيك

عند السادسة والنصف من مساء السابع من شهر نوفمبر ، انطلقت باخرة الكارناتيك من ميناء هونغ كونغ متجهة نحو اليابان .

كانت الكارناتيك مزدحمة بالركاب ، ولم يبق فيها من كابينات فارغة باستثناء كابنتين اثنتين كان من المقرر أن يستخدمهما فيلياس فوغ .

وفي صباح اليوم التالي شوهد رجلٌ مترنحٌ بشعرٍ منكوشٍ يخرج من كابينته ويجلس متثاقلاً على مقعد على ظهر السفينة . . لم يكن هذا الرجل سوى باسبارتو! وهذا ما حدث معه :

بعد مغادرة فيكس قاعة الشرب في مساء اليوم السابق ، كان باسبارتو مخموراً كلياً وغائباً عن الوعي ، فقام نادلان برفعه ووضعاه على السرير المخصص للمدخنين ، ولم يستيقظ سوى بعد ثلاث ساعات بعد أن تذكر خلال نومه واجبه الذي يفترض به إنجازه ، فما كان منه إلا أن قاوم نعاسه وتأثير الخمرة في دمه وانطلق يسير مترنحاً في الشارع ، يمشي متثاقلاً مستنداً

على الجدران ثم لا يلبث أن يسقط على الأرض ويعود من جديد ليقف ويتابع مسيره وهو يبكي ويقول «الكارناتيك .. الكارناتيك!». .

وعندما وصل لرصيف الميناء ، كانت السفينة على وشك الانطلاق وخطوات قليلة تفصله عنها ، فأسرع عبر الممر وسقط على سطحها مغشياً عليه .

تولّى بعدها بعض البحارة الذين اعتادوا رؤية مثل هذه الأمور ، حَمَلَ الرجل الفرنسي المسكين ونقله للمقصورة ، ولم يستيقظ حتى أصبحت المسافة ١٥٠ ميلاً عن هونغ كونغ . وبعد أن أنعشه هواء البحر وساعده ليستعيد نشاطه ، تذكر ما حدث له وما أخبره به المحقق فيكس فشعر بالخجل من نفسه : «أوه! ماذا سيقول عني السيد فوغ عندما يعلم بتصرفي هذا! لكن ربما يشفع لي تمكني من اللحاق بالباخرة قبل انطلاقها» .

ثم فكر بكلام فيكس وتساءل إن توجب عليه إخبار السيد فوغ أن مفتش شرطة سري يلاحقه بتهمة سرقة نقود من بنك إنكلترا! أو ربما عليه الانتظار حتى الوصول إلى لندن . ثم قال لنفسه : «ما يهم الآن هو إيجاد السيد وطلب العفو منه عما بَدَرَ مني البارحة» .

راح باسبارتو يبحث عن سيده على متن الكارناتيك دون نتيجة ، فانطلق يسأل عن رقم كابينة السيد فوغ إلا أن الموظف

على متن الباخرة أخبره بعدم وجود مسافرٍ بذلك الاسم .
تفاجأ باسبارتو وراح يعطي الموظف مواصفات السيد فوغ
والسيدة الشابة التي ترافقه ، لكنّ الموظف أخبره بعدم وجود
سيدة على متن الباخرة .

عندها تذكر باسبارتو القصة بأكملها وكيف لم يتمكن من
إعلام السيد فوغ بتغيير موعد الإبحار والسبب في ذلك هو
فيكس!

لا بد أنها كانت خطة فيكس في اصطحابه لحل الخمرور
وجعله يشمل فلا يتمكن من إخطار فوغ بتغيير موعد الإبحار .
وراح باسبارتو يفكر أن السيد فوغ قد خسر الرهان أو ربما قد
سُجن! وهنا شرع يشدّ شعره ويفكر كيف سينتقم من فيكس لو
أمسك به .

كان على باسبارتو أن يفكر الآن في وضعه ، فهو يتجه إلى
يوكوهاما دون أيّ نقود ، لكن تكاليف كابينته وطعامه في
الكارناتيك كانت مدفوعة ، مما دفعه لالتهام الطعام خلال الأيام
الستة القادمة كما لو أن اليابان صحراءٌ لا طعام فيها .

رَسَتْ الكارناتيك فجر الثالث عشر من نوفمبر في ميناء
يوكوهاما المكتظ بالمسافرين من أمريكا الشمالية ، الصين ،
اليابان وغيرها ، فهو ميناءٌ هامٌ يقع في خليج «يدو» على بعد
مسافة قصيرة من العاصمة اليابانية الثانية .

شقّ باسبارتو طريقه في بلاد أبناء الشمس تلك خائفاً

مفلساً دونما خطة أو دليل . كان في الجزء الأوروبي المكتظ
بأناس من مختلف الجنسيات والمهن ، شعر بالغربة بينهم وكأنه
في وسط أفريقيا . ثم خطرت بباله فكرة التوجه للقنصلية
الفرنسية أو البريطانية إلا أنه لم يحبذ فكرة التحدث عن قصته
وقصة سيده ، لكنه أبقى على هذه الفكرة كحل أخير .

انطلق بعدها نحو الجزء الياباني من المدينة لاستكشافها .
كانت الأبنية مبنيةً بطريقة غريبة لم يسبق له رؤيتها من قبل ،
الشوارع شديدة الازدحام بالمارة من رجال الدين والضباط الذي
يمتشقون سيفين بدلاً من سيف واحد ، جنود ببذلات بيضاء
وزرقاء ، أطفال ، شحاذون وغيرهم .

تابع باسبارتو رحلة استكشاف المدينة لعدة ساعات ،
شاهد المحلات والمطاعم وأماكن الترفيه ، ولما كان مفلساً ، لم
يستطع تناول العشاء تلك الليلة ، لكنه عزم على إيجاد مورد
رزق له في اليوم التالي .

فكر باسبارتو بطريقة تمنحه بعض النقود ، فلم يجد سوى
الاستثمار في ما وهبته الطبيعة له وهو الصوت ، صحيح أنه لم
يتلقَ تدريباً موسيقياً لكنه يعرف بعض الأغاني الفرنسية
والإنكليزية التي تمكنه الغناء في الشارع وكسب بعض النقود .
كان الوقت حينها مبكراً على الوقوف في الشارع والغناء ،
وعليه الانتظار لعدة ساعات أخرى للقيام بذلك ، كما استدرك
ضرورة تغيير ملابسه ، فهي فاخرة لا تتناسب مع ملابس مغني

طريق بسيط ، فما كان منه إلا بيعها لتاجر محل ملابس مستعملة ، حيث قايضها بملابس يابانية قديمة وبعض النقود التي استثمرها في إسكات جوعه .

فكّر بأسبارتو بينه وبين نفسه بخطة تمكنه من الوصول للعالم الجديد ، فخطرت في باله فكرة العمل على متن إحدى السفن المتجهة إلى هناك ، يمكنه العمل كطباخ أو خادم دونما مقابل سوى طعامه والوصول إلى سان فرانسيسكو .

وبالفعل أسرع الخطا إلى الميناء لكن سرعان ما تضاعل حماسه عندما وصل واستدرك الواقع . . لم تحتاج سفينة أمريكية لطباخ بملابس يابانية؟

كما أنه لا يمتلك أية أوراق ثبوتية تثبت هويته ولا حتى شهادات خبرة من قام بخدمتهم سابقاً ، إضافةً إلى أن ملابسه لن تقنع أي ضابط سفينة أمريكي بتشغيله .

وبينما كان يمشي وهو يفكر في إيجاد حل ، قرأ لافتةً ضخمةً على إحدى المحلات تقول :

«الأنوف الطويلة!

فرقة الأكروبات اليابانية بقيادة باتولكار!

أسرع لمشاهدتهم قبل مغادرتهم إلى أمريكا!»

«أمريكا!» هتف لنفسه ، لقد وجد الحل ! .

سارع بأسبارتو للدخول وطلب مقابلة السيد باتولكار الذي اعتقد أنه ياباني . وعندما سمع بطلب بأسبارتو بالعمل لديه

كخادم ، رفض وأشار لخادمين قوين بعضلات مفتولة يعملان لديه ولأ حاجة له بخادم آخر!

فتنهّد باسبارتو متحسراً : كنت أودّ الذهاب إلى أمريكا!
فأجاب باتولكار : أنت لست يابانياً إذاً ، هل أنت فرنسي؟
أجاب باسبارتو : نعم .

فقال : هذا يعني أن بإمكانك إضحاك الجمهور؟
لم تعجب باسبارتو هذه المزحة لكنه مضطّر لمجاملة باتولكار ، فردّ قائلاً : ليس أكثر منكم أنتم الأمريكيون .
فقال باتولكار : حسناً ، حسناً . هل بنيتك قوية؟
أجاب باسبارتو : نعم إنني قوي .
تابع باتولكار أسئلته : هل تعرف الغناء أيضاً؟
أجاب باسبارتو : نعم .
عاد باتولكار ليسأل : لكن هل يمكنك الغناء وأنت تقف على رأسك؟

فأجاب : نعم أستطيع فعل ذلك .
كان باسبارتو يقوم بحيل بهلوانية عندما كان صغيراً ، وبحاجة ماسة للوصول إلى سان فرانسيسكو ، وهكذا أصبح ضمن الفرقة التي تبين وجود نقص فيها بعدما تركها اللاعب الأساسي .

بعد عدة ساعات بدأ العرض الذي كان يتضمن فكرة تكوين هرم من أنوفٍ اصطناعيةٍ طويلةٍ تُركَّب على وجوه

الأكروبايين ، حيث يتسلقون أكتاف بعضهم البعض ويشكلون هرمًا من ترتيب أنوفهم في النهاية ، وكان باسبارتو يشغل مركز منتصف قاعدة الهرم .

لكن ما إن بدأ العرض وبدا المشاهدون منشدين للعرض حتى هوى الهرم!

ذلك لأن باسبارتو قفز فجأة نحو أحد الحضور هاتفاً «سيدي هذا أنت؟» . ولم يكن هذا الرجل سوى السيد فوغ نفسه .

غادر السيد فوغ مع عودة وباسبارتو بأنفه الطويل بعد أن قدّم السيد فوغ للسيد باتولكار الغاضب مبلغاً من المال تعويضاً عن تخريب العرض ، وتوجه الثلاثة للباخرة التي انطلقت عند الساعة السادسة والنصف مساءً .

-١٦-

كيف وصل السيد فوغ؟

كان فوغ وعودة على متن التانكادير التي قامت بإرسال إشارات لسفينة يوكوهاما ، حينها توجهت يوكوهاما نحو السفينة الصغيرة لتقديم المساعدة . وعندها قفز فوغ وعودة على متنها بعدما دفع فوغ لجون بنسبي ما وعده به مضافاً له مبلغ خمسمئة وخمسين جنيه تعبيراً عن امتنانه لجهوده وشجاعته . انطلق السيد فوغ إلى ناغازاكي ثم وصل يوكوهاما في الرابع عشر من نوفمبر وتوجه بالحال إلى الكارناتيك وهنالك علم بوصول باسبارتو على متنها في اليوم السابق .

لكن أين باسبارتو الآن؟

بدأ السيد فوغ بعدها رحلة البحث عن باسبارتو ، جال شوارع يوكوهاما وقابل كلاً من السفير الفرنسي والإنكليزي دونما جدوى حتى دخل بالصدفة لعرض باتولكار فوجده هناك على المسرح وما كان من باسبارتو الذي تفاجأ إلا أن قفز من مكانه وتسبب في سقوط الهرم .

لم يُبدِ باسبارتو أية ردة فعل عند سماعه اسم فيكس الذي قدم مع السيد فوغ من هونغ كونغ وارتأى إخبار سيده

لاحقاً واكتفى بإخباره أنه أفرط في شرب الكحول لا أكثر في إحدى الحانات .

السيد فوغ بدوره لم يبدِ أي ردة فعل بعد سماع قصة باسبارتو ، ثم أعطاه مبلغاً من المال لشراء ملابس جديدة من محلات السفينة .

كان اسم السفينة جنرال جرانت ، سفينة كبيرة بوزن ألفين وخمسمائة طن سريعة مزودة بثلاثة صواري تقطع اثنتي عشر ميلاً في الساعة وتستطيع عبور المحيط في مدة واحد وعشرين يوماً مما جعل فيلياس فوغ يأمل في الوصول إلى سان فرانسيسكو في الثاني من ديسمبر ونيويورك في الحادي عشر ثم لندن في العشرين من ديسمبر وبالتالي قبل يوم من التاريخ المحدد .

كانت الرحلة على متن جنرال جرانت هادئةً وعادية خَلَّتْ من أية مشاكل ، كذلك كان السيد فوغ صامتاً أغلب الوقت في حين كانت عودة تراقبه بكثير من الاحترام لما بذله لأجلها ، ولم تدرك أن شعورها تجاهه تجاوز الاحترام لنوع مختلفٍ من الأحاسيس .

كانت عودة مهمة أيضاً بتفاصيل خطة فوغ وتخشي أن يحدث ما يعرقلها فتفشل ، حيث كانت تسأل باستمرار باسبارتو عنها . إلا أن باسبارتو أدرك اهتمامها وأحاسيسها تجاه السيد فوغ ، وراح يمتدح أخلاقه وذكاءه ويطمئنها بنجاح خطته فقد قطعوا الجزء الأصعب من الرحلة بعد تجاوزهم الصين

واليابان ولم يتبق سوى قطع أمريكا بالقطار ثم نحو لندن بالركب .

في الحقيقة فبعد تسعة أيام من مغادرة السيد فوغ يوكوهاما يكون قد قطع نصف المسافة حول العالم تماماً ، وصحيح أن أمامه ثمانية وعشرين يوماً متبقياً من أصل ثمانين ، وبالرغم أنه قطع نصف تلك المسافة بالتوقيت الشمسي ، لكنه فعلياً قطع أكثر من ثلثي المسافة فيما لو قيست بالأميال .

فمسير فوغ بدأ من لندن نحو عدن ثم مومباي إلى كالكوته ومنها إلى سنغافورة وصولاً إلى يوكوهاما ، وهذا مسير متعرج غير مستقيم .

ولو قيست المسافة حول العالم وفق مسير الشمس لكانت ١٢ ألف ميل لكن بالمسير المتعرج الذي اتبعه السيد فوغ ، تصبح ٢٦ ألف ميل قطع منها ١٧٥٠٠ ميل .

وما يهم الآن أن ما بقي من الرحلة سيكون بخط مستقيم ودون وجود السيد فيكس لعرقلته أيضاً . وفي يوم الثلاثين من شهر نوفمبر ، انتبه باسبارتو أن ساعته تتوافق مع توقيت السفينة! فقد رفض تقديم أو تأخير الساعة خلال ترحاله ، وكان يتحدث أن جميع الساعات في البلاد التي مروا بها هي خاطئة ، والآن هي تتوافق مع ساعة السفينة ، وكم ودّ لو كان السيد فيكس حاضراً أمامه ليهزأ منه ويخبره أن ساعته ما زالت دقيقة بعد كل ذلك السفر .

إلا أن الأمر الذي غفل عنه باسبارتو ، هو أنه لو كانت
ساعته مقسمةً ومرقمةً لأربع وعشرين ساعة لأشارت للحادية
والعشرين لا التاسعة . ولكن حتى لو قام فيكس بتفسير الأمر
لباسبارتو ، لما اقتنع الأخير بكلامه ولو فهم الأمر جيداً .

لكن أين كان السيد فيكس كل ذلك الوقت؟

فيكس كان على متن الباخرة جنرال جرانت أيضاً!

فعند وصوله يوكوهاما ، توجه للقنصيلة البريطانية هناك
ليستلم مذكرة التوقيف الصادرة بحق فيلياس فوغ ، لقد وصلت
متأخرة لأن فوغ قد غادر الأراضي البريطانية!

يا لسوء حظه ، لقد تبعه من مومباي وكان على متن
الكارناتيك التي كان من المفترض أن يكون عليها فوغ دون
فائدة .

لكنه قال لنفسه : «ربما يكون التصريح غير نافع هنا لكنه
سيصبح كذلك في بريطانيا ، فلا بد أن يعود هذا الرجل إلى
بلاده في النهاية ، وسأتبعه عبر المحيط الأطلسي حتى يصل
للأراضي البريطانية . . . صحيح أنه قام بصرف الكثير من
النقود على وسائل السفر ، الجوائز ، الكفالات والفيلة ، لكني
أمل أن يتبقى البعض من النقود بعد كل هذه التكاليف التي
صرفها ، وفي النهاية بنك إنكلترا بنك ثري!» .

وهكذا عاد فيكس إلى السفينة ، لكنه تفاجأ لاحقاً برؤية
السيد فوغ وعودة باسبارتو بهيئته الغربية وأنفه الطويل ، فأسرع

للاختباء في كابينته وطمأن نفسه أن عدد الركاب كبير والازدحام سيحول دون رؤيتهم له .

لكن حدث العكس إذ قابله باسبارتو فجأة في مقدمة السفينة اليوم ، وما أن وقعت عينا باسبارتو على فيكس حتى هجم عليه وراح يكيل له اللكمات إلى أن توقف وهدأ ، فسأله فيكس :

هل انتهيت؟

أجاب باسبارتو : نعم للآن .

فقال فيكس : تعال لتحدث إذاً .

سأل باسبارتو بفضول : عمّ نتحدث؟

أجاب فيكس : عن سيّدك .

وانطلق فيكس يتبعه باسبارتو وجلسا يتحدثان بهدوء .

قال فيكس : لقد قمت بضربي لأنني حاولت عرقلة سيّدك ، لكنني من الآن فصاعداً سأكون في صفّه .

هتف باسبارتو فرحاً : أخيراً! لقد اقتنعت أنه رجل شريف!

لكن فيكس أجابه ببرود : كلا لست مقتنعاً! لقد حاولتُ

بشتى الوسائل عرقلة رحلة فوغ عندما كان على الأراضي

البريطانية ريثما تصل مذكرة التوقيف الصادرة بحقه ، أرسلت

كهنة مومباي خلفه ، جعلتك تشمل في هونغ كونغ وأبعدتك

عنه ، تسببت في عدم لحاقه بالباخرة دون جدوى . ولذا سأغير

خطتي الآن ، سأحرص على وصول فوغ إلى لندن حيث يسري

مفعول المذكرة هناك ، ولذلك سأساعد سيديك في رحلته وأبعدُ
العراقيل عن دربه وعندما نصل لندن ، سنرى ونتأكد إن كان
لصّ بنوك أم رجلاً شريفاً . والآن هل نحن أصدقاء؟
أجاب بأسبارتو الذي لم يعجبه كلام فيكس وكاد يهاجمه
مجدداً : ليس بعد . سنتعاون لمساعدة السيد فوغ لكن احذر أن
تقوم بأية خدعة لأنني سأقتلك لا شك .
« بالتأكيد » . أجاب فيكس بهدوء .

- ١٧ -

سان فرانسيسكو

رَسَتْ جنرال جرانت بعد أحد عشر يوماً في ميناء البوابة الذهبية في سان فرانسيسكو ، وكانت الساعة تعلن الساعة صباحاً عندما وطئت قدم فيلياس فوغ ومرافقيه رصيف الميناء في العالم الجديد ، مما يعني وصول السيد فوغ وفق الخطة تماماً دون تقديم أو تأخير .

كانت البواخر والسفن التجارية في ميناء سان فرانسيسكو من كل الجنسيات ، والبضائع على متنها تُرسلُ إلى المكسيك ، البيرو ، تشيلي ، البرازيل ، آسيا ، أوروبا ومختلف أجزاء المحيط الهادئ .

سارع السيد فوغ للاستفسار عن موعد أول قطار متجه إلى نيويورك وتبيّن أنه ينطلق في الساعة السادسة مساءً ، مما يعني أن لديه نهراً كاملاً ليقضيه في المدينة .

استقلّ فوغ مع عودة وباسبارتو عربة نقل إلى فندق انترناشيونال ، حيث جلس باسبارتو بجانب السائق وتمكّن من التمتع بفضول في ملامح المدينة الغربية ، الشوارع الفسيحة ،

المنازل المنخفضة المتساوية ، الكنائس ذات النمط الأنغلوسكسوني القوطي ، الأحواض الكبيرة ، مستودعات الخشب والطوب الفخمة ، وسائل النقل المختلفة من حافلات صغيرة وعربات أحصنة ، وعلى الأرصفة شاهد أناساً من مختلف الجنسيات ، أمريكيين وأوروبيين وصينيين وهنود .

لم تعد سان فرانسيسكو تلك المدينة الأسطورية من عام ١٨٤٩ مدينة القتلة والجرمين الذين توافدوا في حشود للنهب ، أو مركزاً للخارجين عن القانون الذين كانوا يقامرون بغبار الذهب ، بينما يحملون مسدساً في يد وفي اليد الأخرى سكيناً ، لقد تحولت المدينة وأصبحت مركزاً تجارياً كبيراً .

ولم يخيل لفوغ عند وصوله فندق انترناشيونال أنه غادر بريطانيا على الإطلاق ، فالتصميم الداخلي مشابه تماماً لما يوجد في بريطانيا . وبعد تناولهم وجبة الفطور ، انطلقوا إلى السفارة البريطانية للحصول على توقيع القنصل على جواز سفره .

في طريق العودة اقترح باسبارتو شراء مسدسات باعتبار أن القطار سيمرّ في مناطق موحشة ولا بد من الحماية ، لم يجد السيد فوغ مبرراً لذلك لكنه أعطى باسبارتو حرية التصرف وشراء المسدسات إن رغب . ولم يكن فوغ قد سار أكثر من مائتي خطوة حتى التقى بفيكس الذي تظاهر بالحماس والذهول لرؤية فيلياس فوغ قائلاً :

يا لها من مصادفة غريبة ، هل عبرنا المحيط الهادئ على متن الباخرة نفسها ولم نلتق ببعضنا البعض؟! وأخبره أنه في طريقه لأوروبا وكم يودّ لو يقبل فوغ بمصاحبته في سفره ، فأجاب السيد فوغ أنه شرف له مرافقته في رحلته .

كان فيكس الآن حريصاً على ألا يغيب فوغ عن ناظره ، فطلب الإذن من فوغ بمرافقتهم خلال المدينة وتعرّفهم عليها وهكذا أكمل فوغ وعودة وفيكس المسير في سان فرانسيسكو . وصلوا إلى شارع مونتغمري حيث وجدوا حشوداً كبيرة من الناس في كل مكان . المحلات ، العربات ، أسطح المنازل ، كلها كانت مكتظة بالناس .

كان هنالك رجال يحملون اللافتات والأعلام والتهنئات القوية تعلو من كل صوب :

«عاش كامرفيلد!»

وهتافٌ قوي آخر يقابله :

«عاش مانديبوي!»

كان الأمر عبارة عن حدث انتخابي ، أو على الأقل هذا ما فهمه فيكس .

قال فيكس مخاطباً فوغ : من الأفضل عدم الدخول في هذا الحشد ، فقد نتعرض للخطر .

أجابه فيليبس فوغ : أنت محق!

لقد كان فيكس يسعى لحماية فوغ لمصلحته الخاصة ، فهو يريد الوصول إلى لندن ليتمكن من إيقافه .

انطلق الثلاثة وابتعدوا ووقفوا أعلى سُلَّم حجري ، حيث يمكنهم رؤية ما يجري في الأسفل بين الحشود الغاضبة .

كان مؤيدو الحزبين يتدافعون كالأموج المتلاطمة ، وهتافهم يعلو شيئاً فشيئاً ، وفجأة تداخلت الحشود المتقابلة وعلت الأصوات وتطايرت الأحذية والزجاجات والحجارة في الهواء ، كان واضحاً أن أحد الحزبين قد فاز لكن لم يتمكن فوغ من معرفة الرابع فالفوضى أصبحت على أشدها ووصلت الحشود أسفل السلم الذي يقفون أعلاه .

ثم قال فيكس : علينا الانسحاب بعيداً ! .

«لكننا انجليز . . .» لم يستطع فوغ إكمال عبارته ، فقد وصل حشدٌ من مناصري مانديبوي من الجهة الخلفية للنقطة التي يقفون فيها ، حيث حضروا لتقديم الدعم لزملائهم وحمايتهم من مناصري كامرفيلد .

وهكذا وجد السيد فوغ وعودة وفكس أنفسهم محاصرين بين الطرفين ولا سبيل للهرب الآن .

كان الرجال حولهم يتعاركون بالعصي والزجاجات المكسورة ، وراح فوغ وفكس يحاولان حماية رفيقتهم بأيديهم العارية .

وإذ برجلٍ ضخمٍ عريض المنكبين بذقن حمراء يرفع يده

في الهواء لصفع فوغ ، لكن فيكس أسرع وتلقاها عنه في آخر لحظة ، وعلى الفور تشكلت كدمة كبيرة تحت قبعة فيكس التي تحطمت كلياً .

نظر فوغ للرجل وقال بهدوئه المعتاد : يا لك من أحرق أمريكي!

فرد عليه الرجل : أحرق إنكليزي! سنتقابل ثانية!
- «متى شئت» .

ثم سأله الرجل : ما اسمك؟
- «فيلياس فوغ . وأنت؟» .
- «الكولونيل ستامب بروكتور» .

وهنا بدأت الحشود تتحرك بعيداً ونهض فيكس عن الأرض بعد الإصابة التي تلقاها وثيابه ممزقة ، وكانت عودة قد تمكنت من الهرب دون أية إصابة ، أما فوغ فاقتصرت الأذية على تمزق ملابسه هو الآخر .

ولما ابتعدوا قال فوغ مخاطباً فيكس :
- «شكراً لتلقيك الضربة » .

- «ما من داع للشكر ، لكن هيا بنا»
- «إلى أين؟» سأل فوغ .
- «إلى خياط!»

وهكذا اتجه فوغ مع فيكس لشراء ملابس جديدة بدل الممزقة .

عاد الثلاثة للفندق بعد حوالي ساعة حيث كان بانتظارهما باسبارتو مع المسدسات التي ابتاعها ، وحين رؤيته لفيكس يرافق سيده ، عقد حاجبيه على الفور . إلا أنه هداً بعدما أخبرته عودة بالمغامرة التي حدثت معهم وكيف أنقذ فيكس السيد فوغ .

توجه الثلاثة للمحطة بعد تناول الطعام ، وفي الطريق خاطب فوغ فيكس :

- «هل رأيت الكولونيل بروكتور مجدداً؟» .

أجاب فيكس :

- «كلا لم أراه!» .

فأردف فوغ :

- «سأعود إلى أمريكا مجدداً لرؤيته ، فليس من اللائق معاملة رجل إنكليزي بهذه المعاملة!» .

اكتفى فيكس بالابتسام دون أن يرد عليه .

وصل المسافرون المحطة عند السادسة إلا ربع حيث كان القطار يتأهب للانطلاق . وعندما كان فوغ على وشك الدخول ، نادى حامل الحقائق وسأله :

- «هل حدثت مشاكل اليوم في سان فرانسيسكو؟»

- «كلا سيدي ، كان مجرد لقاء انتخابي» . رد موظف

الحقائق .

فعاد وسأله :

- «انتخابات المسؤول العام لا شك؟» .
- فأجاب الموظف :
- «كلا ، انتخاباتٌ لتحقيق العدالة والسلام» .
- صمت فوخ ثم دخل القطار الذي انطلق بأقصى سرعته .

عيسى الكليب للنشر والتوزيع

- ١٨ -

على خطوط باسيفيك رايلرود

تنقسم شركة باسيفيك رايلرود إلى خطين ، سنترال باسيفيك بين سان فرانسيسكو وأوغدن ، ويونيون باسيفيك بين أوغدن وأوماها .

خمسة خطوط رئيسية تربط أوماها بنيويورك ، والخط الذي يربط نيويورك وسان فرانسيسكو مستمر دون انقطاع بطول لا يقل عن ٣٧٨٦ ميلاً . والخط الذي يربط بين أوماها والمحيط الهادئ يمر عبر مقاطعة ما زال ينتشر فيها الهنود والوحوش البرية ومنطقة كبيرة تستعمرها طائفة المورمون بعد أن تم إخراجهم من إيلينوي عام ١٨٤٥ .

كانت الرحلة من نيويورك إلى سان فرانسيسكو تستغرق سابقاً في أحسن الظروف حوالي ستة أشهر ، لكنها اليوم لا تستغرق أكثر من سبعة أيام . كان الأمر في عام ١٨٦٢ وبالرغم من أن أعضاء الكونغرس رغبوا بطريق يقع للجنوب أكثر ، إلا أنه تقرر وضع السكة بين المتوازيين الحادية والأربعين والثانية والأربعين . وكان الرئيس لينكولن نفسه شارك بإصلاح الخط في نهاية أوماها في نبراسكا .

وقد تم وصل خط السكك الحديدية باسيفيك بعدة فروع في أيوا ، كنساس ، كولورادو ، وأوريغون .

يتم قطع تلك المسافة كلها في سبعة أيام مما جعل السيد فوغ يعتقد أن بإمكانه الانطلاق على الباخرة من نيويورك نحو ليفربول في الحادي عشر من شهر ديسمبر .

كان القطار مجهزاً بعربات كثيرة منها ما هو مخصص للطعام ، المسرح والتدخين غيرها ، والباعة يتجولون بين العربات يبيعون مختلف أنواع البضائع .

غادر القطار محطة أوكแลนด์ في السادسة مساء ، كان الجو بارداً غائماً منذراً بتساقط الثلوج ، ولم يسرع القطار بل حافظ على سرعة عشرين ميلاً في الساعة ، وهذه سرعة كافية ليصل القطار وجهته في الوقت المحدد .

لم تكن هنالك من أحداث كثيرة بين الركاب وبعد قليل من الوقت غرق بعضهم في النوم .

وجد باسبارتو نفسه جالساً جوار فيكس لكنه لم يحدثه ، فبعد الأحداث الأخيرة أصبحت علاقتهم باردة بعض الشيء ، لا تعاطف ولا ألفة .

أسلوب فيكس لم يتغير لكن باسبارتو تغير ، وأصبح متأهباً للانقضاض على صديقه القديم عند أي هفوة .

بدأ الثلج يتساقط بعد ساعة من انطلاقهم ، وعند حلول الساعة الثامنة دخل موظف القطار العربة وأعلمهم بوقت النوم ،

وحينها تحولت العربى لمبيت .

الطريق بين سان فرانسيسكو وساكرامنتو ليست كثيرة التلال ، وخط الباسيفيك بينهما يتجه شمال شرق على امتداد النهر الأمريكى الذى يصب فى خليج سان بابلو .

وصل القطار سيسكو عند الساعة السابعة من صباح اليوم التالى وبعد ساعة عادت العربى لتتحول وتصبح مناسبة لجلوس المسافرين الذين أصبح بإمكانهم التمتع بالمناظر الخلابة للمنطقة الجبلية التى يملون فيها .

دخل القطار ولاية نيفادا عند الساعة التاسعة تقريباً مستمراً باتجاه شمال شرق الذى يتبعه ، ووصل منتصف النهار منطقة رينو ، وكان هنالك تأخير لعشرين دقيقة لتناول الفطور .

راح فوغ ومرافقيه بعد تناول الفطور يستمتعون بمناظر الطبيعة الجميلة ، وعند الساعة الثانية عشرة شاهدوا قطعاً كبيراً من الحيوانات أمامهم ، حوالى عشرة آلاف إلى اثنتى عشر ألف من حيوانات الجاموس كانت تعبر سكة القطار مما اضطر سائق القطار للتوقف ، فلا فائدة من دهسها لأن أجسادها ستتجمع لاحقاً ويخرج القطار عن السكة .

وهكذا انتظروا ثلاث ساعات حتى مر القطيع وحل المساء أثناء انتظارهم ، كل ذلك والسيد فوغ يراقب بهدوء عكس باسبارتو الذى كاد يطلق النيران على تلك الحيوانات .

عاد القطار ليكمل رحلته ، وعند الساعة التاسعة والنصف

دخل ولاية يوتا ، في منطقة سالت ليك سيتي التي تشكل المستعمرة المنفردة للمورمون .

بدأ صبر باسبارتو ينفذ شيئاً فشيئاً ، وبدوره فيكس كان قلقاً من حدوث تأخير أكثر من فوغ نفسه . وصل القطار محطة فورت بريدجر عند الساعة العاشرة مساءً ، وبعد عشرين دقيقة دخل ولاية وايومينغ . وفي اليوم التالي الذي يصادف السابع من شهر ديسمبر ، توقف القطار حوالي ثلاثة أرباع الساعة في محطة غرين ريفر .

كانت الثلوج تتساقط طيلة الليل ، ولكنها اختلطت مع الأمطار فذاب نصفها ولم تعرقل مسير القطار . لكن تساقط الثلوج المستمر أقلق باسبارتو الذي خشي أن تتجمع وتغطي عجلات العربات ، وبالتالي حدوث تأخير لحظة السيد فوغ وخاطب نفسه :

- «يا لها من فكرة! لمَ لم ينتظر السيد ذهاب الشتاء ليقوم برحلته؟ لو أنه قام بهذه الرحلة في الصيف ، لكانت فرص نجاح خطته أكبر!» .

عودة بدورها كانت قلقة أيضاً لكن من شيء آخر ، فقد رأت الكولونيل بروكتور على متن القطار والآن تخشى حدوث مشادة بينه وبين السيد فوغ ، فانتظرت لحظة نوم فوغ ، وأعلمت فيكس وباسبارتو ، فصاح فيكس :

- «كوني واثقة يا سيدتي أن على بروكتور مواجهتي أولاً ،

فأنا من تعرض للإهانة!

وأردف باسبارتو :

- «أنا سأتولى أمره» .

لكن عودة أجابتهما :

- «لن يسمح السيد فوغ بحدوث قتال بينكما وبين

الكولونيل ، فالأمر يخصه وحده ، ولقد قرر أن يعود إلى أمريكا

لمواجهته . لا يمكننا السماح بذلك الآن خوفاً من نتائج سيئة

ولذا علينا منعهما من رؤية بعضهما البعض» .

أجاب فيكس :

- «أنت محقة ، فسواء انتصر السيد فوغ أم خسر القتال ،

سيحدث تأخير في الخطة» .

وتابع باسبارتو :

- «خلال أربعة أيام سنكون في نيويورك ، فإن لم يغادر

السيد فوغ مقصوره خلال الأيام الأربعة القادمة ، ستزداد

فرصة عدم رؤيته للكولونيل ، وعليه ، يتوجب إيجاد طريقة

لإبقاء السيد فوغ داخل العربة» .

وحينها استفاق السيد فوغ وبدأ النظر عبر النافذة فصمت

الجميع .

اقترب باسبارتو وقال لفيكس هامساً :

- «هل حقاً ستقاتل بروكتور نيابة عن فوغ؟» .

فأجابه فيكس بلهجة صارمة :

- «سأفعل أي شيء لضمان عودته إلى لندن» .
- كان الثلاثة يفكرون الآن في طريقة لمنع فوغ من مغادرة العربّة . وبعد لحظات خاطب فيكس فوغ قائلاً :
- «كم هي ساعات طويلة وبطيئة!» .
- فأجاب فوغ :
- «إنها كذلك ، لكنها تمر» .
- تابع فيكس القول :
- «لقد لاحظت أنك كنت تلعب الورق على متن الباخرة»
- «هذا صحيح ، لكن اللعب هنا سيكون صعباً» .
- تساءل فيكس :
- «لِمَ هو صعب؟» .
- «لأن لا ورق ولا لاعبين!» .
- فأجابه فيكس :
- «الورق ليس بمشكلة ، فهو يباع على القطار ، وبالنسبة للاعبين فأنا أعرف لعب الورق (الهويست)» .
- وهنا تدخلت عودة قائلة :
- «وأنا أيضاً ، فلعبة الهويست جزء من التعليم الإنكليزي» .
- فرح فوغ بذلك وتحمس للعب!
- انطلق باسبارتو وعاد بكل الأغراض اللازمة من الورق ، والعدادات ، وبعض الدبابيس وغطاء طاولة .

بدأوا اللعب وتبين أن عودة تفهم اللعبة بشكل جيد بل حتى أنها تلقت بعض المديح من السيد فوغ على لعبها ، أما المحقق فيكس فكان لاعباً ماهراً ، وهكذا اطمأن باسبارتو أن سيّده لن يغادر طاولة اللعب .

وصل القطار عند الحادية عشر صباحاً إحدى أعلى النقاط في مسيره في جبال روكي على ارتفاع ٧٥٢٤ قدماً عن سطح البحر . وبعد حوالي الثانية عشرة والنصف وبعد أن تناول المسافرون فطورهم ، عادوا للعب الهويست ولكن فجأة سمعوا صوت صافرة القطار ثم توقف القطار بعدها .

مدّ باسبارتو رأسه من النافذة لمعرفة سبب توقف القطار لكنه لم يرَ شيئاً يستدعي ذلك . وهنا خشيت عودة وفيكس خروج السيد فوغ لتبيان السبب ، لكنه كان سعيداً باللعب وطلب من باسبارتو النزول ومعرفة سبب توقف القطار .

وعندما نزل باسبارتو من القطار ، وجد حوالي ثلاثين راكباً قد نزلوا ومنهم الكولونيل بروكتور . كانت هنالك إشارة حمراء أمام القطار ، ومهندس القطار والموظف يجادلان شخصاً ما .

تبين لاحقاً أن المحطة اللاحقة ، أرسلت رجلاً لإيقاف القطار بسبب ضعف الجسر في منطقة ميديسن باو وعدم قدرته على تحمل وزن القطار .

كان الجسر المقصود قد فقدَ بعض أسلاكه المعدنية ، وهو يصل بين شاطئين فوق نهر عميق . استمع باسبارتو بفمٍ مغلقٍ

لما يحدث دون أن يتجرأ على الذهاب وإعلام سيده بما يجري .

بدا الانزعاج على جميع المسافرين بمن فيهم بروكتور الذي صاح غاضباً :

- «حسناً ، لكن لا أتوقع أن تبقونا هنا في الثلج ، أليس كذلك؟» .

فأجاب موظف القطار :

- «سيدي لقد أرسلنا تلغراماً إلى محطة أوماها لإرسال قطار إلى محطة ميديسن باو ، ولكن هذا لن يتم قبل ست ساعات» .

صاح بروكتور :

- «ست ساعات!» .

أجاب الموظف :

- «نعم ، لكننا نحتاج وقتاً كذلك للوصول إلى ميديسن باو» .

تساءل بروكتور غاضباً :

- «لكنها على بعد ميل واحد فقط من هنا!» .

- «هذا صحيح لكنها على الضفة الأخرى للنهر»

عاد بروكتور ليسأل :

- «ألا نستطيع عبور النهر بقارب؟!» .

- «هذا مستحيل! الجدول الصغيرة ابتلعها الأمطار ،

وعلىنا المشي عشرة أميال للشمال لنتمكن من إيجاد مكان لعبور النهر» .

وهنا بدأ بروكتور يكيل الشتائم لشركة سكة الحديد والموظف ، بينما بقي باسبارتو صامتاً رغم أنه غاضب مثله ، فالآن هم أمام عقبة حقيقية لا تستطيع فيها أموال السيد فوغ حلها .

كان هنالك خيبة أمل كبيرة بين المسافرين ، فلا يكفيهم حدوث التأخير في رحلتهم بل أيضاً ، عليهم المسير خمسة عشر ميلاً في الثلج . غضبوا واحتجوا ولولا انشغال السيد فوغ باللعبة لانتبه بكل تأكيد لأصواتهم المستنكرة .

لم يجد باسبارتو الذي كان يتابع الجدل بُدأً من الذهاب وإخطار سيده ، لكنه وبينما أدار رأسه نحو العربة ، سمع صوت رجل أمريكي وهو مهندس اسمه فوستر يقول :

- «أيها السادة ، ربما هناك طريقة لعبور الجسر» .

فسأله أحد الركاب :

- «نعبّر الجسر؟!» .

- «نعم» .

- «نعبّر الجسر بقطارنا؟» .

- «نعم نعبّره بقطارنا» .

توقف باسبارتو مكانه مصغياً بكل انتباه .

وهنا تدخل موظف القطار قائلاً :

- «لكن الجسر غير آمن!». .
فأجابه فوستر :
- «هذا لا يهم ، كل ما علينا فعله هو عبوره بأقصى سرعة
يمكن أن يصلها القطار» .
نالت فكرة فوستر تأييد المسافرين ومنهم بروكتور الذي
سبق له أن سمع بقصص نجاح قطارات بعبور أنهار دون أية
جسور حتى ، بمجرد أن تسير بأقصى سرعتها .
- «لدينا خمسون في المئة فرصة نجاح في عبور النهر» . قال
أحد المسافرين .
- «بل ستون!». . رد آخر .
- «أكثر ، ثمانون بل تسعون في المئة!». .
كان باسبارتو يتابع مستغرباً هذه الفكرة التي بدت له
أمريكية جداً ، واستغرب إغفال الجميع عن فكرة أبسط بكثير ،
فقال مخاطباً أحد الركاب :
- «إن خطة المهندس تبدو لي خطيرة بعض الشيء ،
لكن . . .» .
قاطعته الرجل قائلاً :
- «ثمانون في المئة» .
ثم أدار الرجل ظهره لباسبارتو .
عاد باسبارتو ليكلم مسافراً آخرأ :
- «أعلم ذلك ، لكن هنالك فكرة بسيطة . . .»

قاطعه الرجل الآخر أيضاً :

- «لا فائدة من الأفكار ، لقد أكد لنا المهندس أنه يمكننا عبور الجسر» .
- «دون شك! يمكننا العبور ، لكن ربما يكون أكثر حكمة لو . .»

صاح بروكتور هنا :

- «ماذا؟ حكمة! ألا ترى أننا سنعبّر بأقصى سرعة!» .

أجاب باسبارتو :

- «نعم ، أعلم ذلك ، لكن . .»

قاطعه المسافرون :

- «ماذا؟ ما أمرك يا صاح؟» .

المسكين باسبارتو لم يتمكن من توضيح فكرته ، ثم صاح به بروكتور :

- «هل أنت خائف؟»

- «خائف!! سأريك كيف يمكن للفرنسي التصرف

كالأمريكي! لكن لا يمكن لأحد منعي من التفكير أنه من الملائم أكثر لو نعبّر الجسر على أقدامنا ثم يلحقنا القطار!» .
لكن للأسف لم يسمع الآخرون هذه العبارة .

عاد المسافرون لعرباتهم ، وكذلك فعل باسبارتو الذي عاد وجلس في العربة بينما كان اللاعبون منهمكين في لعبتهم ، ولم يتفوه بأية كلمة عما جرى .

قام سائق القطار بالعودة به خلفاً حوالي ميل ثم زيادة سرعته بشكل كبير حتى أصبحت سرعته حوالي مئة ميل في الساعة ، وطار القطار فوق الجسر بتلك السرعة الهائلة ولم يتمكن السائق من إيقافه إلا بعد حوالي خمسة أميال من محطة ميديسين باو ، تاركاً وراءه الجسر محطماً لأجزاء سقطت تباعاً في النهر .

-١٩-

هجوم في القطار

وصل القطار عند إيفانز باس أعلى نقطة خلال رحلته على ارتفاع ٨٠٩٢ قدماً عن سطح البحر ، وحتى الآن فقد تجاوز المسافرون مسافة ١٣٨٢ ميلاً وما زال أمامهم أربعة أيام ولياليها للتواجد في نيويورك .

وبينما كان فوغ ومرافقوه منشغلين في لعب الورق لليوم التالي ، حيث ربح فيكس بعض النقود ويبدو أنه على وشك خسارتها مجدداً ، كان فيلياس فوغ على وشك لعب ورقة بستوني معينة عندما أثاره صوت من الخلف ينبهه :
- «عليك لعب الديناري لا البستوني» .

التفت فوغ للخلف وإذا بالكولونيل بروكتور الذي تفاجأ بدوره وقال :

- «أه أنت السيد الإنكليزي! تريد لعب البستوني إذا؟» .

أجاب فوغ وهو يرمي الورقة على الطاولة :

- «نعم هو من يلعبها» .

اقترب بروكتور وأمسك الورقة السوداء وقال بلهجة وقحة :

- «سيسعدني أن ألعب الديناري ، فأنت لا تعرف شيئاً عن هذه اللعبة» .
- ردّ فوغ وهو ينهض من مكانه :
- «ربما أعرف لعبة أخرى أفضل!» .
- «حسنٌ إذاً ، لتحاول!» .
- نهض الجميع هنا مدعوراً لمنع فوغ من مواجهة بروكتور ، ثم وقف فيكس قبالة بروكتور قائلاً :
- «سيدي يبدو أنك نسيت أن الحساب بيني وبينك!» .
- تدخل فوغ هنا :
- «اعذرني سيد فيكس ، لكن الأمر بيني وبين الكولونيل الذي أهانني للمرة الثانية عندما أصر ألا ألعب ورقة البستوني» .
- فرد بروكتور :
- «في المكان والزمان اللذان تختارهما وبأي سلاح ترغب ، أنا جاهز» .
- ثم غادر فوغ العربية وتبعه بروكتور خارجاً ، وعندها قال فوغ :
- «إنني في حاجة ماسة للعودة بسرعة لأوروبا ، فأني تأخير يحدث معي سيسبب ضرراً كبيراً لي» .
- رد بروكتور :
- «ماذا يعني ذلك؟» .

- أجاب فوغ بتهذيب :
- «بعد لقائنا في سان فرانسيسكو عزمت على العودة ومجابهتك» .
- «حقاً؟»
- «نعم . هل تقبل بتحديد موعد بعد ٦ أشهر؟»
- «لم لا تجعله بعد ١٠ سنوات؟» .
- أجاب فوغ بهدوء :
- «ستة أشهر لا أكثر ، وسألتزم بالموعد الذي تحدده» .
- «كلا أيها السيد ، إما الآن أو لا» صاح بروكتور .
- «جيد ، هل أنت ذاهب إلى نيويورك؟»
- «كلا» .
- «شيكاجو؟» .
- «كلا» .
- «أوماها؟» .
- «ولكن ما الفرق بالنسبة لك ، هل تعرف بلم غريك؟»
- قال بروكتور .
- «كلا » . أجاب فوغ .
- «إنها المحطة القادمة ، سيتوقف القطار هناك لعشرة دقائق ، وخلال هذا الوقت يمكن تبادل عدة طلاقات نارية» .
- «حسناً ، سأتوقف عند بلم غريك» .
- فرد بروكتور هائلاً :

- «وأعتقد أنك ستبقى هنالك أيضاً» .
- «سنرى» أجاب فوغ .
- ثم عاد فوغ إلى العربدة وطمان عودة أن لا خوف من أولئك المتبجحين .
- ثم طلب من فيكس أن يقوم بدور المساند ، ووافق فيكس على الفور .
- وعندما أعلنت صافرة القطار عند الساعة التاسعة الوصول إلى محطة بلم غريك ، نهض فوغ وتبعه فيكس ورافقهم باسبارتو حاملاً مسدسين ، في حين بقيت عودة في العربدة مذعورة .
- فتح باب العربدة المقابلة ونزل منه بروكتور ومرافقه ، لكن ما لبثت أن مسّت أقدام الرجال الأربعة الأرض حتى صرخ بهم موظف القطار بالعودة .
- «عودوا لأماكنكم أيها السادة» .
- فسأل الكولونيل :
- «لماذا؟» .
- أجاب موظف القطار :
- «لا يمكننا النزول أيها السادة ، نحن متأخرون عشرين دقيقة» .
- «لكن لدي مباراة مع هذا السيد ويجب القيام بها» . قال بروكتور

- «أعتذر منك ، لكن لا يمكنني السماح لكما بالنزول ، على أي حال يمكنكما القيام بالنزال على القطار إن أصرّيتم» .
- «لا مانع لدي إن وافق هذا السيد» . أجاب بروكتور ساخراً .

رد فوغ بهدوء :
- «لا مانع لدي أيضاً» .
انطلق الموظف يتبعه فوغ وبروكتور والمرافقين ، بينما كان باسبارتو مستغرباً من اقتراح الموظف وقال لنفسه :
- «نحن في أمريكا بكل تأكيد!» .
وهكذا قاد الموظف الطرفين إلى العربة الأخيرة التي كان فيها ركاب قليلون طلب منهم المغادرة لعشرة دقائق ريثما تنتهي المباراة .

دخل فوغ وبروكتور وحدهما العربة ، وما هي إلا لحظات بعدما تجهزا بمسدسيهما حتى علت أصوات إطلاق رصاص وصراخ من الخارج . هرع الاثنان خارج العربة وتبيّن وجود هجوم من هنود السيوكس على القطار لسرقته .
قفز الهنود على القطار وأسرعوا إلى غرفة المحرك ، حيث ضربوا السائق ومساعدته فسقطا أرضاً ، وحاول أحدهم إيقاف القطار لكن لجهله بتلك الآلة قام بعكس ذلك ، حيث فتح البخار مما زاد سرعة القطار أكثر .

دخل الهنود المهاجمون وبدأوا قتال المسافرين وعلت أصوات الرصاص في كل مكان . قام الجميع بالدفاع ضد الهنود ، حتى عودة نفسها كانت تطلق الرصاص كبطلة حقيقية .

سقط حوالي عشرين هندياً من المهاجمين ، وقامت العجلات بدهس من سقط على السكك ، وجرح بعض المسافرين وتعرض بعضهم للصدمة . واستمر الوضع حوالي عشرة دقائق وغداً من اللازم إيقاف القطار فالمحطة القادمة بعد ميلين ويتواجد بها جنود يمكنهم ملاحقة الهنود المهاجمين .

كان فيلياس فوغ يقاتل بجانب مسؤول القطار الذي صرخ بعد إصابته :

- «يجب إيقاف القطار وإلا انتهى أمرنا!» .

رد عليه فوغ :

- «لا تقلق سنوقفه» .

اتجه فوغ خارج العربة لكن بأسبارتو منعه وانطلق بدلاً منه لمحاولة إيقاف القطار ، وراح يزحف تحت العربة ، يجاهد بحركته ، يتشبث هنا وهناك حتى وصل إلى الجزء الحديدي الذي يربط القاطرة بعربات القطار ، واستغل صدمة مفاجئة لفكّه فانفصلت العربات وراحت تنخفض سرعتها ، وانطلقت حينها القاطرة بمفردها بسرعة كبيرة .

توقف القطار مسافة ثلاثمائة قدم عن المحطة وهرع الجنود

إليه بعد سماعهم أصوات الرصاص ، إلا أن الهنود أسرعوا
بالهروب قبل توقف القطار .
وكانت المفاجأة عند تعداد المسافرين وجود ثلاثة
مفقودين ، بينهم باسبارتو نفسه ، الشاب الفرنسي الذي أنقذ
حياة الجميع .

عيسى الكليب للنشر والتوزيع

-٢٠-

فوغ يقوم بواجبه

تم تحديد ثلاثة مفقودين بين المسافرين ومن بينهم كان باسبارتو ، ولم يعرف السبب ، هل تم أسرهم من السيوكس؟ أم قُتلوا خلال القتال؟ لم يكن بالإمكان معرفة السبب بدقة .

كان هنالك العديد من الجرحى دون إصابات خطيرة وكانت إصابة الكولونيل بروكتور الذي قاتل ببسالة الأكثر خطورة فقد أُصيب في فخذه وتم نقله مع بقية المصابين إلى المحطة لتلقي العناية .

أُصيب فيكس إصابة طفيفة في ذراعه في حين نجا فوغ وعودة من أية إصابات لكن هذا لم يمنع عودة من الانهيار باكية على باسبارتو الضائع .

خرج جميع المسافرين من القطار الذي صبغت عجلاته بالدم وعلق عليها بعض أجزاء اللحم . وعلى امتداد ما يمكن للعين رؤيته ، كانت السكة بلون أحمر من الدم ، وكان يمكن رؤية آخر الهنود الهاربين نحو الجنوب على امتداد نهر ريبيلكان .

بقي فيلياس فوغ ساكناً وكانت عودة بجانبه ترمقه بنظرة فهمها تماماً دون أن تنبس بحرف .

- إن كان باسبارتو وقع في الأسر ، فحتماً سيخاطر بكل شيء لإنقاذ حياته وتحريره من الهنود ، ثم خاطب عودة بهدوء :
- «سأجده حياً أو ميتاً» .
- «أوه سيد فوغ!» . بكت عودة وهي تمسك بيد فوغ .
- ثم أردف فوغ القول :
- «سأجده حياً ، إن لم نضِيع أي دقيقة» .
- كان فوغ مصمماً على قراره ، الذي يعني أن يضحي بنفسه لإنقاذ باسبارتو ، فتأخير يوم واحد سيجعله يفقد الباخرة في نيويورك وبالتالي سيخسر رهانه . لكن فكرة واحدة فقط كانت تدور بخلده «إنقاذ باسبارتو واجبي» .
- أمر قائد المحطة في فورت كيرني بتوزيع مائة من جنوده في المحطة للدفاع عنها في حال عاد هنود السيوكس .
- توجه فوغ إليه قائلاً :
- «سيدي ، يوجد ثلاثة مفقودين بين المسافرين» .
- «ماتوا؟» سأل القائد .
- «لا ندري إن ماتوا أم تم أسرهم ، وهذا لغز يجب حله .
- ألن تنوي تعقب الهنود؟» سأل فوغ .
- أجاب القائد :
- «إن القيام بذلك لأمر خطير أيها السيد ، فهؤلاء الهنود قد يصلون خلف أركنساس ، ولا يمكنني ترك المحطة هنا دون حماية» .

فرد فوغ :

- «لكن سيدي ، إن حياة ثلاثة أشخاص على المحك» .
- «دون شك ، لكن هل بإمكانني المخاطرة بحياة خمسين رجل لإنقاذ ثلاثة؟» .

أجاب فيليب فوغ :

- «لا أعلم إن كان بإمكانك ذلك سيدي ، لكن يتوجب فعله» .

رد القائد غاضباً :

- «لا أحد هنا يملّي عليّ ما يتوجب فعله» .

رد فيليب فوغ بكل برود :

- «حسناً سيدي ، سأنتقل بمفردي» .

وهنا صاح فيكس :

- «سيد فوغ أنتنطلق بمفردك خلف الهنود؟» .

- «هل تريدني ترك المسكين لهلاكه؟ نحن جميعاً مدينون

له بحياتنا ويجب عليّ الذهاب لإنقاذه» .

- «كلا لن تذهب بمفردك!» صاح القائد الذي تأثر بكلام

فوغ وشجاعته . ثم أمر بثلاثين جندياً يتطوعون للذهاب معه وأمر رقيباً بقيادتهم .

شكر فوغ القائد وتجهز مع السرية للانطلاق وهنا سأله

فيكس :

- «ألن تسمح لي بمرافقتك؟» .

أجاب فوغ :

- «يمكنك فعل ما تشاء ، لكن إن أردت تقديم خدمة لي ، أفضل أن تبقى بصحبة عودة في حال حدوث شيء لي . . » .
وهنا شحب وجه فيكس! سيضطر للابتعاد عن الرجل الذي يلاحقه خطوة بخطوة! كيف يدعه ينطلق في هذه الصحراء غير الآمنة؟

ثم أخفض فيكس عينيه أمام نظرة فوغ الصارمة الهادئة وقال رغماً عن رغبته :
- «حسناً ، سأبقى هنا» .

غادر فوغ بعد أن ترك حقيبته في يدي عوده ، وانطلق مع الرقيب والجنود الذين وعدهم بتوزيع خمسمئة ألف دولار عليهم إن أنقذوا الأسرى .

كان الوقت حينها بعد الظهر ، وانسحبت عودة لغرفة الانتظار في المحطة وانتظرت وحيدة عودة فوغ وباسبارتو .

كانت تفكر في نبل وشجاعة فيلياس فوغ ، لقد ضحى بشروته وهو الآن يخاطر بحياته دون أي تردد . وفي الوقت الذي كانت فيه عودة غارقة في همّها وانتظارها ، كان فيكس أيضاً غارقاً في تفكيره ، لكن أفكاره كانت من نوع آخر .

شرع يمشي صعوداً وهبوطاً لمنصة القطار في قلق محموم ، مؤنباً نفسه على الحماقة التي ارتكبها . كيف سمح لنفسه بالابتعاد عن الرجل الذي لاحقه في جميع أرجاء العالم! راح يشتم نفسه ولو

كان مدير الشرطة لوجه لنفسه محاضرة عن سذاجته .
- «إنني أحمق! لقد رحل فوغ ولن يعود ، ولكن كيف
تأثرت به ، أنا المحقق فيكس الذي يمتلك في جيبه مذكرة
توقيف بحقه؟ لست سوى مغفل!» خاطب فيكس نفسه .
أصبح فيكس ضائعاً لا يعرف ما يفعل بينما تمر الساعات
ببطء دون أي جديد .

خطر في باله إخبار عودة بكل شيء لكنه لم يعرف كيف
ستقبل السيدة الشابة اعترافاته . ماذا عليه أن يفعل؟
فكر بملاحقة فوغ ، لم يبدو الأمر له مستحيلاً ، فما زالت
آثار الأقدام على الثلج ويمكن تتبعها ، لكن حالما يسقط المزيد
من الثلج ، ستختفي هذه الآثار . أصبح فيكس محبطاً وشعر
برغبة في التخلي عن اللعبة بأكملها . يمكنه مغادرة فورت
كيرني ومتابعة رحلته إلى المنزل في سلام .

وحوالي الساعة الثانية ظهراً وبينما كانت السماء تتلج
بغزارة ، سُمع صوت صافرة قطار قادم من الشرق .
لم يكن يُتوقع وصول قطار من جهة الشرق ، كما أن القطار
الذي سترسله أوماها لن يصل قبل اليوم التالي وحالما وصل
القطار عُرِفَ هويته .

لم يكن القطار سوى قاطرة قطارهم ، فبعد انفصالها عن
القطار ، انطلقت في سرعة مرعبة وعلى متنها السائق والمهندس
الغائبين عن الوعي .

سارت عدة أميال حتى خمدت نيران المحرك وتوقفت بعد ساعة ، أي حوالي عشرين ميلاً خلف فورت كيرني ، وعندما استعدا وعيهما ووجدا نفسيهما في الصحراء دون العربات ، أدركا حقيقة ما حدث .

لم يتردد المهندس في تقرير ما يجب فعله ، فالحكمة تقول أن يتابعا حتى أوماها ، لأن العودة إلى القطار قد تكون خطيرة ، ربما كان الهنود لا زالوا موجودين على متنه ، فقام بتشغيل المحرك والانطلاق نحو فورت كيرني وقد سُرَّ الركاب لرؤية القاطرة تعود للقطار ، فالآن يمكنهم استئناف الرحلة .
أما عودة أسرعت حالما رأت القاطرة تعود لمكانها وسألت الموظف :

- «هل ستنطلقون؟» .
- «على الفور سيدتي» . أجاب الموظف .
- ردت عودة بئس :
- «لكن الأسرى . . .» . قاطعها الموظف قائلاً :
- «لا يمكنني قطع الرحلة ، حتى الآن نحن متأخرون ثلاث ساعات» .
- فسأله عودة مجدداً :
- «ومتى يصل قطار جديد من سان فرانسيسكو إلى هنا؟» .
- «مساء الغد» .

صاحت عودة :

- «مساء الغد! لكن هذا سيكون متأخراً جداً! علينا انتظار . .» .

عاد الموظف وقاطعها :

- «سيدتي ، هذا مستحيل ، إن رغبتِ بالرحيل ، اصعدي فوراً» .

- «كلا لن أرحل» . أجابت عودة .

كان فيكس يستمع للحديث ، وقبل بعض الوقت كان عازماً على الرحيل ، وها هو القطار أمامه وكل ما عليه هو الصعود والجلوس في مكانه ، لكنه لم يقدر على ذلك . . كانت تشده قوة غريبة للخلف .

لقد عاد الصراع داخله بين الفشل والغضب .

في هذه الأثناء صعد الجميع إلى القطار بمن فيهم بروكتور المصاب ، ثم أطلق الموظف صفارته معلناً انطلاق القطار الذي سرعان ما ابتعد عن فورت كيرني . وبقي هناك على الرصيف ، المحقق فيكس . . لم يرحل .

مرت الليلة صعبة على عودة وفيكس اللذان غرقا في أفكارهما وترقبهما ، جلس فيكس دون حراكٍ على مقعد في المحطة ، وخلال انتظاره اقترب منه رجل ، كان يبدو أنه يسأله عن شيء لأن فيكس أشار برأسه كإجابة دون أن يتكلم .

بينما عودة تخرج بين الحين والآخر من غرفة الانتظار

للرصيف بالرغم من قسوة الطقس وبرودته ، تراقب عبثاً لأن الضباب يغطي كل شيء .

قائد المحطة بدوره كان قلقاً أيضاً من تأخر سرية الجنود بالعودة ، أين هم؟ هل وجدوا الهنود؟ هل دخلوا في قتال معهم؟

وعند حلول الساعة السابعة صباحاً ، أصبح القائد قلقاً للغاية وبدأ يفكر في إرسال سرية أخرى لتقصي الأمر ، لكن أيخاطر بالمزيد من رجاله؟

وهنا فجأةً سمع صوت إطلاق بعض الأعيرة النارية ، هل هي إشارة؟

وخرج فوجد السرية قادمة نحو المحطة يقودها فوغ وخلفه باسبارتو والأسيرين الآخرين بعد تحريرهم من هنود السيوكس .

وصل فوغ والجنود في الوقت الحاسم لإنقاذ باسبارتو ورفيقه على بعد عشرة أميال جنوب فورت كيرني حيث كانوا يتعاركون مع الهنود ، أنقذهم فوغ وعادوا إلى المحطة بعد أن وفى وعده فوغ بتوزيع المكافأة على الجنود ، مما دفع باسبارتو لتأنيب نفسه ، فقد كلف سيده الكثير من النقود حتى الآن .

صافح فوغ كلاً من عودة وفيكس الذي لم ينبس بأي كلمة ، أما عودة فضغطت على يد فوغ دون أن تتكلم من شدة تأثرها .

في هذه الأثناء كان باسبارتو يبحث عن القطار . لقد توقع

رؤيته في المحطة بانتظار الانطلاق نحو أوماها لكنه لم يجده ،
فصاح :

- «القطار ، القطار!» .

- «لقد ذهب» . أجاب فيكس .

فتدخل فوغ وسأل :

- «ومتى يكون موعد القطار التالي؟» .

- «مساء الغد» .

فأجاب فوغ بهدوئه الغريب : «حسناً» .

-٢١-

الزحافة

- وجد فيلياس فوغ نفسه متأخراً عشرين ساعة ، وشعر
باسبارتو بالإحباط لأنه كان سبب التأخير .
وهنا اقترب المحقق فيكس من فوغ قائلاً له :
- «هل أنت في عجلة من أمرك حقاً؟» .
أجاب فوغ :
- «نعم بالفعل» .
- «هل من الضرورة حقاً أن تصل نيويورك في الحادي عشر
من ديسمبر قبل حلول التاسعة مساء موعد انطلاق الباخرة إلى
ليفربول؟» .
- «بالأكيد» .
- «وهل كنت لتصل في الوقت لولا هجوم الهنود؟» .
- «نعم» . أجاب فوغ .
- «حسناً ، أنت الآن متأخر بفارق عشرين ساعة ، والوقت
بين الثانية عشر والعشرين هو ثمانية ساعات ، هل تودّ في
إعادة كسب هذه الثماني ساعات؟» .
رد فوغ متسائلاً :

- «مشياً على الأقدام؟» .

- «كلا ، بل على زحافة . لقد عرض عليّ رجل القيام بذلك» .

كان ذلك الرجل هو الذي تحدث إلى فيكس خلال الليلة الماضية أثناء انتظارهم فوغ والآخرين .

لم يعط فيلياس فوغ جوابه على الحال ، لكن توجه للرجل الذي أشار إليه فيكس وكان اسمه مادج وتحدث معه . وبعد لحظات دخل الاثنان كوخاً ، حيث عاين فيه فوغ الزحافة .

يتم اعتماد الزحافات المشابهة خلال فصل الشتاء عندما تمنع الثلوج القطارات من الحركة ، فهذه الزحافات تؤمن رحلات سريعة بين المحطات إن لم يكن أسرع من القطار نفسه .

لم يكن باستطاعة فوغ تجاهل فرصة كهذه!

وخشيةً منه على عودة من البرد الشديد ، عرض عليها البقاء مع باسبارتوليضمن وصولها إلى أوروبا بشكل لائق أكثر ، لكنها رفضت الابتعاد عن فوغ ، وقد اغتبط باسبارتو من قرار عودة خوفاً من ترك سيده مع فيكس بمفرده .

أما فيكس فكان من الصعب معرفة ما يجول في خاطره . هل تغير رأيه بالسيد فوغ؟ هل ما زال يعتقد أنه لص؟ بكل الأحوال عليه إتمام واجبه والوصول إلى بريطانيا في أسرع وقت ...

انطلقت الزحافة عند الساعة الثامنة من صباح اليوم

التالي ، وقد اتخذ المسافرون أماكنهم واحتياطاتهم للحماية من البرد القارس ، وارتفعت أشعة الزحافة وطارَت بسرعة أربعين ميلاً في الساعة .

لا تتعدى المسافة بين فورت كيرني وأوماها أكثر من مائتي ميل ، وإذا استمرت الرياح بالهبوب بهذه القوة ، فمن المتوقع أن يقطعوا المسافة في خمس ساعات ، إن لم تتعرض الزحافة لأيّة حوادث .

كانت الزحافة قوية البناء تسير بسرعة كبيرة عبر الأراضي المنبسطة ، ولم يكن يعكر مزاج المسافرين سوى البرد الشديد حيث انكمشوا على بعضهم طلباً للدفء .
وخاطبهم مَادج قائلاً :

«سنصل أوماها عند الواحدة إن لم يحصل مكروه» .
كان مَادج متحمساً للوصول بسرعة لأن فوغ وعده بمكافأة إن تمكن من ذلك . كانوا يعبرون أراضٍ منبسطة كبُحيرة متجمدة شاسعة ، ولم يكن يعترض طريق الزحافة من شيء إلا حدوث أمرين :

تحطم قطعة من الزحافة ، أو انخفاض قوة الرياح .
إلا أن سرعة الرياح ازدادت وتسببت في انحناء صاري الزحافة ، لكن دون حدوث أي كسر فيها .

اكتسب وجهه باسبارتو لوناً أحمرّاً من شدة البرد ، ورغم ذلك شعر أن بإمكانه مصافحة فيكس لاقتراحه الزحافة ، فقد

عاد الآن الأمل في وصولهم نيويورك في الصباح . وفعلاً نجح
مادج في الوصول لأوماها عند الواحدة ، وأشار لبعض المنازل
المغطاة بالثلج :
- «ها قد وصلنا!» .

وكما وعده فوغ فقد قبض مادج المكافأة . .
أسرع فوغ ومرافقيه نحو محطة القطارات واستقلوا قطاراً
متوجهاً نحو شيكاغو ، حيث وصلوها الساعة الرابعة من مساء
اليوم التالي ، ومنها استقلوا القطار المتوجه نحو نيويورك دون أي
تأخير .

تبعد نيويورك تسعمئة ميل عن شيكاغو ، وسيمر المسافرون
عبر ولاية انديانا ثم أوهايو ، ومنها عبر بنسلفانيا ثم ولاية
نيوجرسي ، وبالفعل وصل المسافرون المحطة في نيويورك عند
الساعة الحادية عشر والربع من الحادي عشر من شهر ديسمبر .
لكن لسوء حظ فيلياس فوغ ، كانت الباخرة «تساينا» التي
سيركبها قد غادرت قبل ثلاثة أرباع ساعة من وصولهم .

-٢٢-

الاستيلاء على هنرييتا

غادرت تشاينا أخذة معها آخر أمل لوصول فوغ في الموعد المخطط له ، والباخرة الفرنسية لن تغادر حتى الرابع عشر أي بتأخير يومين ، والمركب الألماني سيرسو في ميناء فرنسي ولن يستطيع الذهاب من هناك إلى لندن في الموعد المحدد .

باخرة واحدة فقط ستبحر إلى ليفربول في اليوم التالي ، لكنها كانت بطيئة ولن توصله في الموعد المحدد أيضاً .

راح باسبارتو يؤنب نفسه مجدداً ، لقد كان السبب في حدوث هذا التأخير ، بل كان السبب في إنفاق الكثير من الأموال دون فائدة ، في حين اكتفى فوغ بالقول :
- «حسنٌ ، سنرى ما يمكننا القيام به غداً» .

ثم انطلق الجميع إلى الفندق وقضوا الليلة فيه ، وكان فيلياس فوغ وحده من تمكن من النوم .

كان اليوم التالي يصادف تاريخ الثاني عشر من ديسمبر أي قبل تسعة أيام وثلاث عشرة ساعة وخمس وأربعين دقيقة عن التاريخ المحدد الوصول فيه ، ولو كان حظ فيلياس فوغ جيداً لكان استقل تشاينا السريعة ووصل ليفربول في الموعد المخطط له . .

لكن للأسف هذا لم يعد ممكناً .

غادر فوغ الفندق بمفرده بعد أن أعطى باسبارتو أوامراً بانتظار عودته ، وأخبر عودة أن تكون جاهزة في أية لحظة .
اتجه فوغ إلى رصيف البواخر وبدأ يراقب السفن التي توشك على الانطلاق ، كان هناك الكثير من المراكب والسفن لكن أغلبها كان شراعياً لا ينفعه في الوصول في الموعد المحدد .
وبعد جولة بحث بين البواخر والسفن الكثيرة ، وجد باخرةً جميلةً يتصاعد منها الدخان كانت على وشك الانطلاق ، فاستقل زورقاً صغيراً واتجه نحوها .

كان اسم المركب «هنرييتا» وهي باخرة حديدية لكن أجزاءها العليا خشبية ، وقبطانها رجل جلف خشن المظهر في الخمسين من عمره اسمه أندرو سيدي .

طلب فوغ مقابلته فقدم مستفسراً :

- «أنا القبطان ، ماذا تريد؟» .

- «أنا فيلياس فوغ من لندن» .

- «وأنا أندرو سيدي من كارديف» .

- «هل ستقلع باخرتك الآن؟» .

- «سنقلع خلال ساعة» .

- «وأين وجهتك؟» .

- «بورديو» .

- «هل يوجد على متن الباخرة مسافرون؟» .

- «ليس هناك من مسافرين على الإطلاق ولم يسبق أن كان على متن الباخرة ركاب ، إنهم يسبّبون الفوضى» .
- «هل باخرتك سريعة؟» .
- «بين إحدى عشر إلى اثنتي عشر ميل بحري في الساعة ، الهنريتا مشهورة بسرعتها» .
- «هل تأخذني مع ثلاثة أشخاص آخرين إلى ليفربول؟» .
- سأل فوغ .
- «ليفربول؟ لم لا تقول الصين أيضاً؟» .
- «لا ليفربول فقط» .
- «كلا!» .
- «كلا؟؟» .
- «سأقلع باتجاه بوردو وسأذهب بالتأكيد إلى بوردو» .
- «المال ليس مشكلة» .
- «لا يهمني المال» .
- كان القبطان يتكلم بإصرار . فعاد فوغ وسأله :
- «لكن ربما يقبل أصحاب الباخرة؟» .
- «أنا مالك الباخرة ، إنها تعود لي» . أجاب سبيدي .
- «هل تؤجرني الباخرة؟» .
- «كلا» .
- «إذاً أشتريها منك» .
- «كلا» .

كان الوضع خطيراً مختلفاً عما حدث معه في هونغ كونغ ، كانت أمواله تمهّد السبيل أمامه في كل مرة ، أما الآن فقد فشلت .

على فوغ إيجاد طريقة لعبور الأطلسي على قارب . . . وربما وجدها لأنه عاد وسأل القبطان سبيدي :

- «هل تأخذني معك إلى بوردو إذا؟» .

- «كلا حتى لو عرضت عليّ مئتي دولار» .

- «سأعرض عليك ألفين» .

- «للشخص الواحد؟» . سأل سبيدي .

- «نعم للشخص الواحد . ونحن أربعة» .

بدأ سبيدي يحكّ رأسه ، مبلغ ثمانية ألف دولار دون أن يغير طريقه ، لهو مبلغ جميل .

كما أن راكباً يدفع ألفي دولار أجرة نقل ، ليس براكب عادي بل بضائع تجارية قيمة . ثم خاطب فوغ قائلاً :
- «سنقلع عند التاسعة سيد فوغ» .

كانت الساعة تشير إلى الثامنة والنصف ، فأسرع فوغ بالنزول من على متن هنرييتا إلى الرصيف ، واستأجر عربة نقلته إلى الفندق حيث عاد مع باسبارتو وعودة وحتى فيكس . وهكذا كان فوغ ومرافقيه على متن هنرييتا عند الساعة التاسعة وبعد ساعة عبرت هنرييتا نهر هدرسن وانطلقت نحو المياه المفتوحة . وفي تمام الساعة الثانية عشر من يوم الثالث

عشر من ديسمبر ، صعد فيلياس فوغ منصة الربان وراح يعطي أوامره للضباط بالاتجاه الواجب أخذه في دهشة من مرافقيه .

قام فوغ خلال الليلة السابقة بعقد اتفاقات مع كل من يعمل على متن السفينة وإنفاق نقوده بالشكل الذي يناسب خطته ، فأصبح الضباط والرجال ممن يكرهون سيدي جميعاً تحت إمرته ، أما القبطان سيدي تم حبسه في كابينته وراح يكيل الشتائم ويزمجر صارخاً دون جدوى .

تحول اتجاه هنرييتا إلى ليفربول لا بوردو وأصبح فوغ القبطان ، وقد وجد باسبارتو ذلك رائعاً أما عودة فكانت قلقة من حدوث شيء ما يعرقل الخطة .

وبسرعة الهنرييتا التي تصل لاثنين عشر ميلاً في الساعة ، وفي حال لم تهب الرياح من جهة الشرق ولم يحدث أي مكروه للسفينة ، فمن المتوقع أن تصل ليفربول خلال تسعة أيام لتقطع المسافة بين نيويورك وبين ليفربول التي تصل لثلاثة آلاف ميل .

كانت ظروف الرحلة خلال الأيام الأولى جيدة ، الريح لم تكن قوية وتهب في الاتجاه المطلوب ، الأشعة مرفوعة وهنرييتا تبهر بسرعة جيدة ، وقد انعكس ذلك على الركاب ، فسعادة باسبارتو لا توصف ، كوّن صداقات مع البحارة وراح يناديهم بأجمل الألقاب ، ويدللهم فهم كانوا بالنسبة له أبطالاً لأنهم يسيرون السفينة باتجاه ليفربول حيث النهاية غدت قريبة جداً .

أما فيكس فلم يفهم سلوك فوغ ، دَفَعُ مبلغ ثمانية ألف دولار للوصول إلى ليفربول ، شراء ضباط السفينة والاستيلاء عليها ، وقيادتها أيضاً؟ .

لكن بالنسبة له وبعد كل ما حدث خلال الرحلة ، فالأمر ليس مستغرباً ، إلا أنه كان واثقاً أن فوغ لن يتوجه إلى ليفربول أبداً بل سيتجه نحو مكان آمن يطمئن فيه لعدم ملاحقة الشرطة له . وهنا راح يؤنب نفسه لمشاركته في هذه الرحلة منذ البداية .

وصلت هنرييتا أصعب جزء من الرحلة في الثالث عشر من ديسمبر قرب جزيرة نيوفوندلاند في المحيط الأطلسي حيث يكثر الضباب في الشتاء ، وبدأ الطقس يتغير وهبت ريح قوية من الجنوب الشرقي .

قام فوغ بإنزال الأشرعة تحسباً من انحراف السفينة في الاتجاه الخاطئ والاعتماد على البخار فقط مما أبطأ من سرعة السفينة بالطبع . وراحت الأمواج تتقاذف هنرييتا وتضربها بعنف ، وبقيت معتمدة على البخار ليومين دون رفع الأشرعة ، لم تكن بالعاصفة القوية التي تصبح فيها سرعة الريح تسعين ميلاً ، لكنها تسببت في هبوب الريح من الجنوب الشرقي وعليه لا يمكنهم سوى الاعتماد على البخار حتى خروجهم من العاصفة .

أصبحوا في اليوم السادس عشر من شهر ديسمبر الذي

يصادف اليوم الخامس والسبعين من يوم إقلاعهم من لندن ، وهنرييتا تبهر بسرعة مقبولة والتأخير ما زال مقبولاً باعتبار أنها قطعت الآن أكثر من نصف المسافة . لكن الثمن كان نفاذ مخزون الفحم من السفينة!

وبينما كان باسبارتو يتأمل في النهاية القريبة ، وجد رئيس المهندسين يصعد إلى ظهر السفينة ويخبر فيلياس فوغ أمراً مهماً ، وسمع سيده يسأل المهندس :

- «هل أنت متأكد أننا ننفذ من الفحم؟»

- «بالطبع سيدي ، فنيراننا مشتعلة مُذْ غادرنا نيويورك ، كما أنه كان مخزوناً يكفي لرحلتنا العادية إلى بوردو ، لا إلى ليفربول» .

أجاب فوغ بهدوء :

- «سأفكر في حل للموضوع» .

دُعِرَ باسبارتو من الأمر وأخبر المحقق فيكس عما يجري فما كان من الأخير إلا أن قال له :

- «هل تعتقد حقاً أن سيدك متجه إلى ليفربول؟» .

- «بالطبع!» . صاح باسبارتو .

- «أحمق!» . قال فيكس وهو يدير ظهره لباسبارتو .

كان باسبارتو متأكداً أن سيده سيجد طريقة ما لحل المشكلة ، وفي المساء استدعى فوغ رئيس المهندسين وأخبره :

- «أحرق كل الفحم» .

- لكن في اليوم الثامن عشر من ديسمبر ، أعلن المهندس أن الفحم سينفذ خلال بضع ساعات . وكان جواب فوغ مجدداً :
- «لا تدع النار تخبو ، أحرقه كله!» .
- ثم عند الظهيرة استدعى باسبارتو وأمره بإحضار سبيدي من كابينته وبالفعل صعد سبيدي على متن السفينة غاضباً ، وسأل :
- «أين نحن الآن؟» .
- «نحن الآن نبعد مسافة سبعمائة وسبعين ميلاً عن ليفربول» . أجاب فوغ .
- «يا لك من سارق!» .
- «أود شراء سفينتك أيها السيد» .
- «سفينتي! كلا ، لن أبيعها» .
- «لكنني سأقوم بحرقها» .
- «ماذا؟ تحرق سفينتي؟!» .
- «سأقوم بحرق الجزء الخشبي لنكمل مسيرتنا فلم يعد لدينا ما يكفي من الفحم» .
- «ستحرق سفينة ثمنها خمسون ألف دولار!» .
- «خذ هذه ستون ألف دولار» .
- هدأ سبيدي وراح يفكر في العرض ، بالطبع إنه سعر جيد لسفينة عمرها عشرون عاماً ، لكن هذا لم يكفه على ما يبدو .
- فعاد يسأل فوغ :
- «وهل بإمكانني الاحتفاظ بالجزء الحديدي للسفينة» .

- «لك ذلك» .

أجاب فوغ ثم أتبع قائلاً :

- «لم تقبل طلبي بنقلنا إلى ليفربول ، وإذا لم أصل لندن في تاريخ الحادي والعشرين من ديسمبر تمام الساعة التاسعة ، سأخسر عشرين ألف جنيه» .

قاطعهُ سيدي :

- «أحسنْتُ برفضِي إذاً ، لأنني كسبت نقوداً كثيرة» .

- «إذاً يا سيدي السفينة ملكي الآن أليس كذلك؟» .

- «نعم إنها ملكك» .

وهنا توجه فوغ للبحارة وأعطى أوامره :

- «حسنٌ ، والآن قطعوا الجزء الخشبي منها وأحرقوه

لنتمكن من الوصول لوجهتنا» .

وبالفعل تم اقتطاع الأجزاء الخشبية من السفينة وحرقها

خلال اليومين اللاحقين .

وفي اليوم العشرين تمكنوا من رؤية ساحل إيرلندا ، ومروا

قبالة كوينز تاون بحلول العاشرة مساءً وأمامهم يوم واحد فقط

للوصول إلى لندن ، ولكن هذه المدة أيضاً هي ما تحتاجه هنرييتا

للوصول إلى ليفربول وبدأ الخشب الذي يستخدمه لتشغيل

محرك البخار يقلّ .

توجه سيدي الذي غدا مهتماً بخطة فيلياس فوغ

وخاطبه :

- «سيدي ، يبدو أن الحظ يعاكسك ، ونحن الآن بعيدون عن كل مكان باستثناء كوينز تاون» .
- أجابه فوغ :
- «هل هذه أضواء كوينز تاون؟» .
- «نعم سيدي» .
- «هل بمقدورنا دخول الميناء في كوينز تاون؟»
- «ليس الآن ، علينا انتظار ثلاث ساعات لارتفاع المياه عند المد» .
- «فليكن ذلك ، سننتظر» .
- احتفظ فوغ بهدوئه ولم يتكلم أكثر .
- كوينز تاون ميناء إيرلندي تتوقف فيه البواخر القادمة من الأطلسي لتترك الخطابات والرسائل ، حيث يتم إرسالها إلى دبلن عبر القطارات السريعة ومنها إلى ليفربول عبر مراكب سريعة جداً ، وهكذا تصل بسرعة أكبر مما لو نقلت عبر البواخر الكبيرة بحوالي اثنتي عشرة ساعة .
- وهذه كانت خطة فوغ ، الاستفادة من فارق الزمن هذا ، فبدلاً من الوصول إلى ليفربول على متن هنريتا مساء اليوم التالي ، سيصل ليفربول بوقت أبكر وبالتالي يتمكن من الوصول إلى لندن قبل التاسعة إلا ربع .
- وبالفعل رست هنريتا في ميناء كوينز تاون عند الساعة الواحدة مع ارتفاع المياه ، وقام فوغ بتوديع أندرو سبيدي الذي

قام بمصافحته بحماس وحرارة فقد كسب بفضلله الكثير من النقود .

توجه بعدها فوغ ومرافقوه إلى قطار كوينز تاون عند الساعة الواحدة والنصف حيث أوصلهم دبلن عند شروق الشمس .

لم يضيّع المسافرون وقتهم ، فاتجهوا إلى الرصيف البحري واستقلوا إحدى البواخر السريعة جداً المتوجهة إلى ليفربول .

وصل فيلياس فوغ ومرافقوه ليفربول عند الساعة الثانية عشر إلا عشرين دقيقة من يوم الحادي عشر من شهر ديسمبر ، وما زال لديه ست ساعات ليصل لندن في الوقت المحدد .

لكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، فقد اقترب فيكس من فوغ ووضع يده على كتفه ثم خاطبه :

- «هل أنت حقاً فيلياس فوغ؟» .

- «نعم أنا هو» .

- «باسم الملكة ، أنت قيد التوقيف» .

-٢٣-

السيد فوغ يصل لندن أخيراً!

تم إيقاف فيلياس فوغ في المكتب الجمركي على أن يتم نقله إلى لندن في اليوم التالي .

وقف باسبارتو يرقب الموقف مذعوراً ثم انقضَّ على فيكس ليضربه إلا أن رجال الشرطة قاموا بإيقافه ، أما المسكينة عودة فلم تفهم ما حدث حتى شرح لها باسبارتو أنه تم إلقاء القبض على فوغ بتهمة السرقة .

اشتعل قلب عودة حزناً عند سماعها بهذه التهمة المستحيلة ، فالسيد فوغ لا يمكن أن يكون سارقاً ، وعندما وجدت نفسها عاجزة عن فعل أي شيء لإنقاذه ومساعدته ، راحت تبكي بحرقة ومرارة ، أما باسبارتو فكان الندم يأكله ، والأفكار البشعة تتخبَّط داخله ، فقد وجد نفسه سبباً سوءِ الحظ الذي يتعرض له سيده من جديد .

راح يؤنب نفسه لعدم إخبار سيده بحقيقة المحقق فيكس عندما كشفها له ، على الأقل كان ليتمكن من إثبات براءته له ، وما كان فوغ تحمل عبء تكاليف سفر فيكس فقط ليقوم بإلقاء القبض عليه لحظة وصوله الأراضي البريطانية .

شعر باسبارتو بحمقه الشديد لكتمانه أمر فيكس ، والآن يجد سيده وراء القضبان وهو عاجز عن مساعدته ، فأحس بحرقه الندم وراح يذرف دموعه بغزارة .

بقيت عودة وباسبارتو في الخارج رغم البرد القارس ، ينتظران أمام المكتب الجمركي على الرصيف لرؤية السيد فوغ . لقد انتهى أمر فوغ في اللحظة التي اعتقد فيها أنه ربح الرهان ونجح في خطته ، فبعد وصوله ليفربول عند الساعة الثانية عشرة إلا عشرين دقيقة ، كان يملك تسع ساعات وخمس عشرة دقيقة للوصول إلى نادي الإصلاح في لندن ، في حين لا تستغرق الرحلة من ليفربول إلى لندن أكثر من ست ساعات فقط .

كان بإمكان أي شخص يدخل المكتب الجمركي حينها ، أن يجد السيد فوغ جالساً على مقعد خشبي دونما حركة ، ساكناً هادئاً ولا تعلو وجهه أمارات الغضب .

فشلت هذه الضربة التي تلقاها في جعله يبدي مشاعره للعيان ، هل كان الغضب يستعرُ داخله سراً؟

لم يكن بمقدور أحد التكهن بما يحدث في أعماق فيلياس فوغ ، الذي جلس ينتظر بهدوء .

ينتظر ماذا بالضبط؟ هل ما زال يأمل في نجاح خطته والابتعاد عن السجن؟

وضع فوغ ساعته على الطاولة وراح يتمعن في عقاربها

المتحركة دون أن ينبس ببنت شفة ؛ بكل الأحوال إن وضعه سيء للغاية ، فإن كان رجلاً شريفاً فقد خسر رهانه وفشل ، وإن كان محتالاً فهو مقبوض عليه الآن .

هل خطرت فكرة الهروب في باله ؟
هل تفحص غرفته ليرى إن كان هنالك من وسيلة تمكنه من الهرب ؟

ربما ، فقد دار الغرفة ببطء لكن الباب كان محكم الإغلاق ، والنافذة مغلقة بقضبان حديدية سميكة .
جلس مجدداً وسحب مفكرته من جيبه وقرأ السطر حيث كتب :

يوم السبت ، الحادي والعشرين من شهر ديسمبر ،
ليفربول .

هنا قام بإضافة الكلمات التالية :
«ثمانون يوماً ، الساعة ٤٠ : ١١ صباحاً» . وعاد ينتظر .
دقت ساعة المكتب لتعلن الساعة الواحدة ، فانتبه فوغ أن
ساعته متقدمة ساعتين عن ساعة المكتب .
«ساعتان!!» قال لنفسه .

ثم أدرك لو أن بإمكانه في هذه اللحظة استقلال قطار سريع
نحو لندن ، لوصل نادي الإصلاح في التاسعة إلا ربع ، ورغم
ذلك لم يبدُ أي تعبير على وجهه عما يفكر به .
وعند الساعة الثانية وثلاثة وثلاثين دقيقة ، سمع صوت

ضجيج قادم من الخارج ، كان بإمكانه تمييز صوت باسبارتو وبعده صوت فيكس ، فلمعت عيناه للحظة .

فتح الباب ورأى عودة وباسبارتو وفيكس أمامه ، وقد هرع فيكس قبالتة وهو يلهث ، وحاول التكلم وأنفاسه على وشك أن تنقطع :

- «سيدي .. سيدي .. سامحني .. إنها .. غلطة ...
لقد تم القبض على اللص .. الشخص الذي يشبهك ... لقد قُبِضَ عليه منذ ثلاثة أيام .. أنت حر .. سيدي أنت بريء!» .
مشى فوغ نحو فيكس ، ثم تأمل وجهه بثبات وقام بحركة سريعة ربما تكون الوحيدة التي قام بها أو قد سيقوم بها خلال حياته .. لقد طرح فيكس أرضاً بضربة منه .

سقط فيكس على الأرض ولم يأتِ بأية حركة ، فقد نال عقابه المستحق ، ثم غادر فوغ وعودة وباسبارتو واستقلوا عربةً على الفور ، متجهين نحو محطة القطار في ليفربول .

كانت الساعة عند وصولهم المحطة تشير إلى الثالثة إلا عشرين دقيقة ، وقد غادر القطار المتوجه إلى لندن منذ خمس وثلاثين دقيقة ، مما دفع السيد فوغ لاستئجار قطار خاص .

توجد العديد من القاطرات التي تقوم بمثل هذه الطلبات ، إلا أن الإجراءات الورقية تستغرق وقتاً ، ولا يمكن للقطار المستأجر الانطلاق قبل الساعة الثالثة .

عرض فوغ كعادته في تسيير أموره بسرعة ، مكافأة على

سائق القطار في حال الوصول بسرعة ، وانطلق معه عودة وباسبارتو متجهين إلى لندن .

على فيلياس فوغ الآن الوصول إلى لندن خلال خمس ساعات ، لكن لسوء الحظ ، فقد كان خط السكك الذي انطلق عليه القطار مشغولاً على امتداد طوله واضطر سائق القطار لإيقافه عدة مرات فكانت النتيجة وصول المسافرين محطة قطارات لندن عند التاسعة إلا عشر دقائق .

يا لسوء الحظ! قد عبر فيلياس فوغ العالم كما وعد لكنه خسر الرهان بفارق خمس دقائق . .

- ٢٤ -

فوغ في سافيل رو

لو أخبر القاطنون في شارع سافيل رو أن السيد فيلياس فوغ قد عاد إلى منزله ، لكانوا تفاجأوا ، فما زالت الأبواب والنوافذ مغلقة وليس هنالك من حركة تنم عن وجود أحد داخل المنزل .

أعطى فيلياس فوغ أوامره لباسبارتو بعد مغادرتهم المحطة ، بشراء الحاجيات الأساسية للطعام ، ثم غادر إلى منزله .
لم تكن ردة فعل فوغ غريبة عنه ، فقد بقي هادئاً رغم خسارته الرهان بسبب خطأ المحقق فيكس .
كم هو أمر مغيظ!

دار العالم وتجاوز العديد من الصعاب والمشاكل ، ونجح في الوصول إلى الأراضي البريطانية مع مزيد من الوقت يمكنه من إثبات نجاح رهانه ، لكن غلطة المحقق فيكس الساذجة الغبية ، قضت على كل شيء .

بقي معه قليل من الأموال التي أخذها معه ، إضافة لمبلغ عشرين ألف جنيه مودعة في بارينغز ، وهذه تغطي المبلغ الذي استدانه من أصدقائه في نادي الإصلاح ، وأنفق كل تلك

الأموال دون أي جدوى . . . فقد خسر الرهان وخسر نقوده رغم أنه لم يكن ليثرى لو نجح فيه!

اتجه فوغ لغرفته حيث قام بإطفاء موقد الغاز الذي كان يشتعل لثمانين يوماً ، وقد وجد في صندوق بريده ، فاتورة من شركة الغاز ، وفكر جدياً بوضع حد لهذا الإنفاق الذي كان مجبراً على تحمله .

أمر فوغ بتجهيز غرفة خاصة لعودة في المنزل ، وكانت المسكينة شديدة الحزن لمأل فوغ ، ترقبه عن كثب كما يفعل باسبارتو ، فقد سمعت فيلياس وهو يتكلم عن إنهاء حياته بعد فشل رهانه ، وها هو ينسحب إلى غرفته .

مرت الليلة على الجميع دون أن تغمض لهم عين ، مترقبين لما سيحدث وبقي باسبارتو أمام باب غرفة سيده ككلب وفي .

في الصباح طلب فوغ أن يحضر باسبارتو لغرفته وأمره بتحضير الفطور لعودة ، وأما هو فأراد كوباً من الشاي وقطعة لحم ، وأراد الاعتذار من عودة لعدم مشاركتها الفطور والعشاء لانشغاله بتسيير أموره ، ونقل إليها الإذن بمحادثتها مساءً .

لم يكن بوسع باسبارتو فعل شيء سوى تلبية أوامر سيده ، لكنه لم يقدر على التحرك من مكانه ، كان الندم يقتله لعدم إخبار سيده بمخطط فيكس ، لربما تمكّن وقتها فوغ من تدبّر أمره ولما تكلف بإحضار فيكس معه على نفقته الخاصة إلى ليفربول ، وحينها صرخ قائلاً :

- «سيدي إنها غلطتي! أنا الملام على كل ما حدث . .»
قاطعته فوغ بهدوئه المعتاد :
- «ما من أحد ملامٍ يا باسبارتو . . . هيا اذهب لما أمرتك
به» .

غادر باسبارتو وأخبر عودة بما جرى وخاطبها :
- «سيدتي ، ليس لي أي تأثير على السيد ، لكن ربما
أنت . .»

- «تأثير؟ أي تأثير يكون لدي يا صديقي؟ هل فهم سبب
امتناني الكبير؟ هل أدرك أحاسيسي؟ كل ما عليك فعله يا
باسبارتو هو عدم تركه بمفرده ولو للحظة . هل تقول أنه
سيكلمني مساءً؟»
أجاب باسبارتو بياس :
- «نعم . ربما لتدبير أمر حمايتك وتوفير الراحة لك في
بريطانيا» .

- «سنرى ذلك» .
كان المنزل خلال النهار يبدو خالياً من أي سكان ، لا
حركة فيه ، ولم يخرج فوغ من المنزل .
إنها المرة الأولى التي لم يخرج فيه إلى نادي الإصلاح بعد
أن تصبح الساعة الحادية عشر والنصف صباحاً .
لكن لم يذهب إلى نادي الإصلاح؟
فهو قد خسر الرهان لأنه لم يكن هناك يوم الحادي عشر

من ديسمبر عند الساعة التاسعة إلا ربع ، كما ليس عليه التوجه للبنك لأجل العشرين ألف جنيه لأن الشيكات بالأصل مع الدائنين وكل ما عليهم فعله ، هو التوجه لبارينغز وتحويل الأموال إلى أرصدتهم .

ولأن فوغ لم يغادر المنزل ، لم تغادره كذلك عودة ، أما باسبارتو فبقي يصعد وينزل السلالم ، يستمع لصوت باب السيد وينظر إليه عن كثب عبر ثقب الباب .

لم يعد باسبارتو يشعر بالغضب من فيكس ، فهو كان يقوم بواجبه في ملاحقة فوغ ، لكن لم يسمح نفسه لعدم إخبار السيد فوغ بحقيقة فيكس .

كان من الصعب عليه البقاء بمفرده والاستماع لأفكاره وتأنيب ضميره فاستأذن الدخول لغرفة عودة ، وجلس في زاوية غرفتها دون أن يتفوه بحرف . وعند الساعة السابعة والنصف ، طلب فوغ رؤية عودة لمحدثتها .

جلس فوغ على الكرسي قبالتها ، ساكناً دون أية مشاعر بارزة على محيّه ، بقي صامتاً لعدة دقائق ثم تكلم قائلاً :

- «سيدتي ، هل تغفرين لي إحضارك هنا؟ لما اتخذت قراراً بإحضارك معي من البلد حيث كنت في خطر وقتها ، كنت غنياً ، وكنت أعتقد أنني سأقدم لك جزءاً من ثروتي وكنت لتصبحين سعيدة وحرّة ، لكنني الآن مفلس . . »

أجابت عودة :

- «أعلم ذلك سيد فوغ ، وهل تغفر لي بدورك أنني تبعثك؟
ربما كنت السبب أيضاً في تأخيرك وخسارتك الرهان .»
رد فوغ بهدوئه المعتاد :
- «لم يكن بالإمكان تركك في الهند ، كان لزاماً تهريبك
من هناك» .
- «لقد قمت بإنقاذي من ميتة رهيبة ، تريد أيضاً تأمين
مستقبلي؟» .
- أجاب فوغ :
- «نعم أيتها السيدة ، لكن الظروف ضدي الآن . . على
أية حال سأضع القليل المتبقي من ثروتني في خدمتك» .
- «وماذا عنك سيد فوغ ، ماذا ستفعل؟»
- «عن نفسي ، فأنا لست في حاجة لأي أحد» .
- قال فوغ عبارته بكل برود .
- «وماذا ستفعل بشأن القدر الذي ينتظرك؟»
- «أفعل؟ لست في وضع يسمح لي بفعل شيء» .
- «على الأقل ، لا يجب أن يشبط ما حدث من عزيمة رجل
مثلك ، أصدقاؤك . .»
- قاطعها فوغ :
- «ليس لي أصدقاء» .
- «حسنٌ ، أقاربك؟»
- «لم يعد لدي أقارب أيضاً» .

ردت عودة المسكينة :

- «أتوسل إليك سيد فوغ ، يقال أن الحزن قاس عندما لا تجد قلباً تتشاركه معه ، وأن المأساة تخفّ عندما تنقسم على اثنين» .

- «يقال ذلك يا سيدتي . .»

عندها نهضت عودة وأمسكت يد فيلياس وقالت :

- «سيد فوغ ، هل ترغب بصديقة؟ هل تقبلني كزوجتك؟»

هنا نهض فوغ بدوره ، كان هنالك بريق في عينيه ، وارتجاف خفيف لشفتيه . كانت عودة ترمقه .

راح يتمعن في سمات وجهها ، الإخلاص ، الصدق ، الثبات ، لطف هذه السيدة النبيلة التي تحدّت الجميع لتنقذه لأنها كانت مدينة له .

أغلق عينيه لبرهة كما لو أنه يتفادى نظرتها ، وعندما فتحهما قال :

- «نعم ، إنني أحبك باسم كل المقدسات ، وأنا لك!»

- «أوه!»

راحت عودة تبكي وهي تمسك يد فوغ بحنان .

ظهر باسبارتو أمامهما فجأة ، وكان فوغ ما زال يمسك بيد عودة ، فهمّ باسبارتو الأمر وأصبح وجهه الكبير المدوّر مشعاً من الفرح .

فسأله فوغ إن كان الوقت متأخراً للذهاب إلى دار الكاهن سامويل ويلسون وإعلامه البدء بتحضير ترتيبات الزفاف .

ابتسم باسبارتو ابتسامة كبيرة وقال :

- «ليس الوقت متأخراً على الإطلاق» .

كان الوقت يعلن عن الساعة الثامنة وخمس دقائق .

- «هل يكون الزفاف غداً يوم الاثنين؟» نظر فوغ إلى عودة يسألها . فأجابت :

- «نعم فليكن» .

ركض باسبارتو حينها خارجاً نحو الكاهن بأسرع ما حملته قدماه .

-٢٥-

المراهنات مستمرة!

كان لص البنوك جيمس ستراند قد اعتُقل في السابع عشر من ديسمبر في أدنبره ، وقبل ذلك بثلاثة أيام كان فيلياس فوغ يُعتبر مجرمًا ولصاً تلاحقه الشرطة ، لكنه الآن يُعدُّ مجدداً رجلاً شريفاً نجح في الدوران حول العالم .

كان خصومه الخمسة في نادي الإصلاح ، في حالة انتظار محكوم خلال الأيام الثلاثة الماضية . هل سيظهر أمامهم فيلياس فوغ؟ أين كان في هذه اللحظة؟

في تاريخ السابع عشر من شهر ديسمبر ، اليوم الذي تم فيه اعتقال جيمس ستراند ، كان يصادف اليوم السادس والسبعين من مغادرة فيلياس فوغ ولم تكن تصل منه أية أخبار .

هل هو ميت؟ هل تخلى عن جهوده في إتمام الرحلة ، أم كان مستمراً في متابعة خطته؟

وهل كان سيظهر السبت في الحادي والعشرين من ديسمبر عند التاسعة إلا ربع مساءً في نادي الإصلاح؟

من الصعب وصف الحماس الذي كان يعتري المجتمع البريطاني ، وكانت رسائل التلغرام تُنقل إلى أمريكا وآسيا لتتبع

أخبار فيلياس فوغ ، والرسائل تصل إلى سافيل رو صباحاً ومساءً دون أي أخبار .

وتجاهلت الشرطة ما بدر من المحقق فيكس الذي لاحق الخيط الخاطي لسوء الحظ . وازدادت الرهانات عدداً وكماً ، كان فيلياس فوغ كحصان سباق يقوم بدورته الأخيرة .

اجتمع خصوم فوغ الخمسة في نادي الإصلاح ، المصرفيان جون سوليفان وسامويل فالنتين ، والمهندس أندرو ستيوارت ، ومدير بنك إنكلترا غوتيه رالف ، وصانع البيرة توماس فلانغان الذي كان أكثرهم قلقاً .

عندما دقّت الساعة الثامنة وعشرين دقيقة ، نهض ستيوارت قائلاً :

- «أيها السادة ، خلال عشرين دقيقة سينتهي الوقت الذي اتفقنا عليه مع السيد فوغ» .

- «متى وصل آخر قطار من ليفربول؟» سأل توماس فلانغان .

أجاب غوتيه رالف :

- «السابعة وثلاثة وعشرين دقيقة ، كما أن التالي لن يصل إلا بعد الثانية عشرة وعشرة دقائق» .

أردف أندرو ستيوارت :

-«لو قدم فيلياس فوغ في قطار السابعة وثلاثة وعشرين دقيقة ، كان ليكون هنا الآن ، وعليه يمكننا القول أننا كسبنا الرهان» .

- «انتظر ، لا تدعنا نستعجل» . تابع سامويل فالتنين .
إن السيد فوغ رجل دقيق يحترم مواعيده ، فهو لا يصل
مبكراً أو متأخراً ولن أفتاجاً إن ظهر أماننا في آخر لحظة» .
سأل أندرو بعصبية :
- «حتى لو رأيته بأمّ عيني ، فلن أصدق أنه هو» .
تدخل توماس فلانغان هنا قائلاً :
- «في الحقيقة ، إن مشروع فوغ أحمقٌ كلياً ، فمهما كان
دقيقاً في مواعيده ، لن يقدر على منع التأخير وتأخير يومين أو
ثلاثة أيام سيكون قاتلاً لرهانه» .
أجابه جون سوليفان :
- «لاحظوا أيضاً ، أننا لم نتلقَ منه أية أخبار بالرغم من
وجود تلغرام على طول خط رحلته» .
- «لقد تاه» . قال أندرو ستيوارت وأردف :
- «لقد خسر مئة مرة ، يضاف أن الباخرة تشاينا وهي
الباخرة الوحيدة الممكن أن تنقله من نيويورك إلى هنا خلال
الوقت المناسب ، قد وصلت البارحة . لقد رأيت أسماء المسافرين
ولم يكن اسم فوغ في القائمة ، وحتى لو قلنا أن الحظ حالفه فهو
لا يمكن أن يكون قد وصل أمريكا ، إنه متأخر حوالي عشرين يوماً
على الأقل واللورد ألبمارل سيخسر خمسة آلاف جنيه» .
أجاب غوتبيه :
- «هذا واضح . وما علينا الآن سوى الذهاب إلى بارينغز

في الغد وصرف شيكات فيلياس فوغ» .
في هذه اللحظات كانت عقارب الساعة تشير إلى التاسعة
إلا عشرين دقيقة
هتف أندرو ستیورات :

- «إذا هنالك خمسة دقائق متبقية» .

نظر السادة الخمسة إلى بعضهم ، كان الحماس يزداد
واستجابوا لطلب فالتين بعدم اتهام فوغ أنه لص . وهكذا
جلس الخمسة يرقبون عقارب الساعة بترقب شديد ، كان
الوقت يمر ببطء قاتل بالنسبة لهم .
حتى صرخ توماس فلانغان :

- « التاسعة إلا سبع عشرة دقيقة» .

ساد الصمت لحظة ، كانت الصلاة ساكنة لكن أصوات
الحشود في الخارج تعلو وتهدأ بين الحين والحين .

- «التاسعة إلا ست عشرة دقيقة» . قال جون ساليغان .

وقبل خمس ثوان تماماً من التاسعة إلا ربع ، سُمع صوتُ
صراخ قوي من الخارج تبعه هتافات وتصفيق حاد .

نهض المراهنون الخمسة من مقاعدهم .

وقبل ثلاث ثوان من التاسعة إلا خمس عشرة دقيقة ، فُتح باب

الصلاة وظهر فيلياس فوغ يتبعه حشد كبير وقال بصوته الهادئ :

« إنني هنا أيها السادة» .

نعم! إنه فيلياس فوغ بذات نفسه .

-٢٦-

فوغ لم يربح برحلته حول العالم سوى السعادة!

لنتذكر أنه عند حلول الساعة الثامنة وخمس دقائق بعد حوالي خمس وعشرين ساعة من وصول فيلياس فوغ ومرافقيه إلى لندن ، كان فوغ قد أرسل باسبارتو إلى الكاهن سامويل ويلسون للبدء في تحضيرات الزفاف في اليوم التالي .

لم يكن القس موجوداً ، فانتظره باسبارتو حوالي عشرين دقيقة على الأقل وعندما غادر كانت الساعة الثامنة والخامسة والثلاثين دقيقة لكن كانت حالة باسبارتو مختلفة ، فشعره منكوش دون قبعة ، وقد ركض كما لم يركض رجل من قبل حتى وصل سافيل رو بعد ثلاث دقائق وتهدأ وهو يدخل غرفة السيد فوغ وهو على وشك السقوط أرضاً .

لم يكن بإمكانه التكلم .. فسأل فوغ متفاجئاً :

- «ماذا حدث؟» .

- «سيدي! الزواج مستحيل» .

أجاب باسبارتو وهو بالكاد يلتقط أنفاسه .

- «لِمَ هو مستحيل؟» سأل فوغ .

- «الزفاف .. مستحيل .. غداً» .
- «لم؟» .. سأل فوغ .
- «لأن يوم الغد هو الأحد!»
- «لكن يوم الغد هو الاثنين» . أجاب فوغ .
- «كلا! .. اليوم هو السبت» .
- «السبت! ، هذا مستحيل!» .
- «نعم نعم ، نعم! لقد وقعتَ في خطأ يا سيدي ، لقد وصلنا هنا قبل أربع وعشرين ساعة من الموعد والآن بقي أماننا فقط عشرة دقائق!»
- ثم أمسك بأسبارتو بسيده ودفع به للخارج وارتميا في عربة نقل وَعَدَ سائقها بمئة جنيه ليوصلهم بأقصى سرعة إلى نادي الإصلاح ، فدهست كلبين واصطدمت بخمس عربات أخرى حتى وصلت النادي .
- وعندما دخل فوغ الصالة في نادي الإصلاح كانت الساعة تعلن التاسعة إلا ربعاً .
- لقد نجح فيلياس فوغ في إتمام رحلته حول العالم في ثمانين يوماً ، وكسب الرهان وبالتالي كسب النقود .
- كيف يمكن لرجل ذكي مثله أن يقع في خطأ كهذا؟
- كيف اعتقد أنه وصل لندن السبت بتاريخ الحادي والعشرين من ديسمبر في حين أنه في الواقع وصل الجمعة في العشرين من ديسمبر ، أي اليوم التاسع والسبعين من يوم مغادرته؟

سبب الخطأ بسيط للغاية :

كسب فيلياس فوغ يوماً خلال رحلته دون أن يتوقع ذلك بتنقله المستمر نحو الشرق ، وكان ليخسر يوماً لو كان يتنقل نحو الغرب .

عندما كان فيلياس فوغ يرتحل نحو الشرق باتجاه الشمس ، كانت الأيام تقصر أربع دقائق في كل مرة يعبر فيها إحدى الدرجات التي تنقسم لها الأرض وهي ٣٦٠ درجة ، وهكذا يصبح عدد الدقائق التي كسبها حاصل ضرب أربعة بـ ٣٦٠ ، أي يوم كامل .

وبتعبير آخر ، لقد رأى فيلياس فوغ الشمس تغرب ثمانين مرة في حين لم يرها أعضاء نادي الإصلاح سوى تسعة وسبعين مرة ، ولهذا فهم كانوا ينتظرونه يوم السبت لا الأحد ولو كان فوغ سافر باتجاه الغرب ، لكان خسر يوماً خلال رحلته ووصل متأخراً عن الرهان .

كانت ساعة باسبارتو القيّمة لتثبت صحة تلك الحقيقة لو أنها كانت تقيس الأيام بنفس الدقة التي تقيس فيها الساعات والدقائق .

لقد ربح فوغ الرهان وبالتالي ربح عشرين ألف جنيه ، ولكنه أنفق تسعة عشر ألف جنيه خلال الرحلة ، وبقي له ألف جنيه قسمها بين باسبارتو وبين المحقق فيكس الذي لم يكن له أية ضغينة .

لكنه اقتطع من حصة باسبارتو ثمن فاتورة الغاز الذي بقي
يحترق في غرفته طيلة تلك الرحلة .
مساء ذلك اليوم ، توجه فوغ بالسؤال لعودة بهدوء أكثر من
المعتاد :

- «هل ما زلت موافقة على زواجنا؟»
- «يتوجب علي أن أسألك هذا السؤال سيد فوغ ، فقد
كنت مفلساً لكنك الآن غني» .
أجاب فوغ :

- «لكن اعذريني ، فشروتي كلها ملكك ، فلولا اقتراحك
الزواج ، لما ذهب باسبارتو إلى منزل الكاهن ، وأدركنا الخطأ
الذي وقعنا فيه» .
قاطعته عودة :

- «عزيزي السيد فوغ» .
- «عزيزتي عودة» . أجابها فوغ .
وبالفعل تم الزفاف بعد أربع وعشرين ساعة وكان باسبارتو
من رافق عودة إلى المذبح ، فهذا يحق له بعدما أنقذها وحماها
طيلة تلك الرحلة .

وفي اليوم التالي ، هرع باسبارتو إلى منزل سيده وطرق
الباب ، ولما فتح له فيلياس متسائلاً عن سبب حضوره :
- «ما الأمر يا باسبارتو؟» .

- «لقد اكتشفت أنه كان بإمكاننا قطع الرحلة خلال

ثمانية وسبعين يوماً» .

- «دون شك» .. أجب فوغ ثم أردف :

- «كان بإمكاننا ذلك بعدم المرور في الهند ، لكنني لو لم أعبّر الهند لما أنقذت عودة ولما أصبحت زوجتي» .. عندها صمّت وأغلق الباب .

لقد ربح فيليبس فوغ الرهان ودار العالم في ثمانين يوماً ، وأثناء قيامه بذلك ، استخدم كل وسائل النقل من البواخر ، السكك الحديدية ، العربات ، اليخوت ، السفن التجارية ، الزحافات والفيّلة .

لقد استثمر هذا الرجل المميز صفاته الرائعة من الهدوء والدقة لكن ماذا كسب من كل ذلك؟

ماذا كسب حقيقةً سوى المشاكل؟

ماذا أحضر معه من رحلته الطويلة والمرهقة؟

قد تقولون لا شيء! ...

ربّما ، لكنه أحضر سيّدةً ساحرةً جعلته أسعد رجلٍ في العالم .

حقاً! ألا تستحق هذه النهاية مخاطرة الدوران حول

العالم؟! .

الفهرس

5	المؤلف
7	لقاء السيد فيلياس فوغ مع باسبارتو
14	الرهان
19	فيلياس فوغ يدهش باسبارتو
23	المفتش فيكس وباسبارتو
31	السيد فيكس ينفذ صبره
39	رحلة القطار العاخرة
45	مغامرة السوتي
54	خطة باسبارتو
58	القبض على المسافرين
67	إلى سنغافورة
72	في الطريق إلى هونغ كونغ
81	مناورات فيكس في هونغ كونغ
90	باسبارتو خارج الرحلة
98	على متن التانكاوير
105	باسبارتو على متن الكارناتيك
112	كيف وصل السيد فوغ؟
118	سان فرانسيسكو
125	على خطوط باسيفيك رايلرود

- 137 هجوم في القطار
144 فوغ يقوم بواجبه
153 الرّحافة
157 الاستيلاء على هنرييتا
168 السيد فوغ يصل لندن أخيراً!
173 فوغ في سافيل رو
180 المراهنات مستمرة!
184 فوغ لم يربح برحلته حول العالم سوى السعادة!